فعاليات متنوعة وحاشدة تحتضن الرفيق أبو علي مصطفى على أرض الوطن



الهدف

AL HADAF



لماذا لا يتم وقف المفاوضات ما لم يتم وقف الاستيطان؟

العدد ١٢٩٩ / ٣١ تشرين أول ١٩٩٩

AL - HADAF - No. 1299 - 31/10/1999

أعمال الفنان العراقي جبر علوان
عالم المرأة المكتنز بالغموض والأسرار!

علي الكردي



معرض العراقي جبر علوان، الذي استضافته غاليري «أتاسي» بدمشق مؤخراً، كان واحداً من أهم المعارض التي شاهدناها في السنوات الأخيرة.

الكلام السابق ليس مجرد حكم قيمة نرميه جزافاً، وإنما انفعال حقيقي وصادق، نابع من تأمل أعمال هذا الفنان التي تجعلك كمتلقٍ تسبح معه في فراديس تكويناته وأشكاله وشخوصه التي ترفل في ألوان بهية، ساطعة، تنوس بين الحار والبارد، وتنغمر بين العتمة والضوء، لتحرك فيك دهاليز الذاكرة التي يأكلها الحنين، ويفتتها الشوق، ربما إلى حكايا بغداد - ألف ليلة وليلة، أو إلى شهرزاد بإهابها الجميل المكتنز بالخفايا والأسرار، أو إلى تلك المرأة الحزينة المشتهاة التي تنطوي في آخر الليل على وحدتها، وخلفها يمتد سريرها الأبيض البارد، تحيطها هالة من الألوان الرمادية، ونافذة مغلقة على جدار الزمن، إذ ثمة بصيص أمل، أو بارقة ضوء شحيح يضيء روحها المغلولة بالعزلة والإنتظار.

ماذا يفعل هذا الجبر علوان، وكيف يرسم رجاله المتعبين، الغارقين في ضباب معارفهم واكتشافاتهم، واحتمالاتهم، وكيف يرسم نساءه الشاحبات، الغارقات في بحر من الأحلام الرجراجة والرغبات المكبوتة، الغافية، التي تنبثق في لحظة إشراقٍ إلهي جميل؟!

وكيف يجسّد بلغته التشكيلية، البصرية التي لاتشبه إلا ذاته كل هذه الحالات الطقوسية في وقعها المسرحي المنضبط بتوازن مدهش وإيقاع مدروس وألوان تنساب موسيقاها الشجية في تجاور، وتداخل شفيف في تدرّجها وتآلفها الذي يمنح فضاء اللوحة أبعاداً لامرئية يرسلها بإشارات دالة، مكثفة، تشي بالحالة، أكثر مما تفصح عنها.

ليس المهم في لوحات علوان المرأة بوصفها جسداً يثير الخيال لدى المتلقي، وإنما انبثاقها كجسد وروح، حيث يجسّدها: منتظرة أحياناً، وشغوفة متلهفة أحياناً أخرى، مشرقة، مجللة بالضوء واللون تارةً، وغارقة في عتمة روحها، ورماديات انكساراتها تارةً أخرى.. وكل هذا يتجلى على سطح القماشة بمتانة التكوين، وانسيابية الخطوط المختزلة اللينة، المتخفية، وراء لعبة الضوء، واللون مما يضفي على عوالم اللوحة فضاءً غنياً بالقيم والدلالات التعبيرية التي تستحوذ على عين المتلقي وتشدّه لاكتشاف عالم غامض مكتنز بالأسرار.

مفاوضات ما يسمى بالحل النهائي

والقناة الدافئة

مع الإنطلاقة الاحتفالية لمفاوضات ما يسمى بالحل الدائم في ١٩٩٩/٩/١٣، عاد الحديث ـ إسرائيلياً ـ مجدداً إلى موضوع «الفصل» بين الكيانين الفلسطيني والإسرائيلي. وهذا «الفصل» المقترح، يأخذ أشكالاً مختلفة قائمة على عدد من الخطط ويرتكز الموقف الإسرائيلي من المسألة على نقطة محددة هي الأمن، أمن الإسرائيليين طبعاً.

ويترافق «الفصل الأمني» مع فصل اقتصادي وسكاني أيضاً. والخطة الإسرائيلية موضوعه منذ عهد رابين، وعاد باراك لتبنيها مع تعديلات محددة، تعيد التنكير ببؤس الحل الذي تم توقيعه في أوسلو. فعن أي فصل يتحدثون، في الوقت الذي تسيطر فيه إسرائيل بشكل كامل على الاقتصاد الفلسطيني الذي وضعته الاتفاقات في مكانة التابع للاقتصاد الإسرائيلي، وهو تابع خدمي طبعاً، في وضع يعيد تكريس علاقة الاحتلال في طبعة استعمارية جديدة تحوّل الأراضي الفلسطينية بشكل كامل إلى وضعية «البانتوستان» المحاصر، والمغلق والمعزول، والمحاط بجدران الأمن الإسرائيلية.

إسرائيل إذن، تريد قطف ثمار السلام، سلام الاحتلال الجديد، دون أن تدفع تكلفة إضافية، هذه هي المعادلة، صيغة كئيبة ومخزية من علاقة المستغفِر بالمستعمَر، ومن المفترض أن يقبل الفلسطينيون بكيان مشوّه، أكثر من حكم ذاتي بقليل ـ وأقل من دولة ـ بكثير. تسيطر إسرائيل على الحدود وتملك حرية الحركة العسكرية، عبر الطرق الإلتفافية التي تخترق الأراضي الفلسطينية طولاً وعرضاً، وتملك بؤراً مسلحة عبر ٤٠٠ ألف مستوطن يشكلون رمزاً كريهاً لبقاء الاحتلال.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل يقبل الفلسطينيون بذلك. لاشك أننا هنا نريد الفصل، ولكن ليس بالنسخة الإسرائيلية بل بنسختنا الخاصة المناقضة تماماً، تتضمن دولتنا المستقلة، كاملة السيادة، بدون مستوطنات وعاصمتها القدس، باقتصادنا المستقل، ذاتي التطور وعلاقاتنا العربية التي تعيد فلسطين إلى فضائها الحيوي الطبيعي في العالم العربي كجزء أساسي وفاعل فيه. وأي حل آخر سيقود إلى تفجير مؤكد، نتيجة السياسات التي تقودها إسرائيل، والتي ستدفع الشعب الفلسطيني في النهاية إلى قلب الطاولة وإعادة ترتيب أوراقه للخروج من وضعية المحتل إلى وضعية الشعب الحر.

ولعل صعوبة بل واستحالة مثل هذه الحلول الإسرائيلية تدفع للقول: أن مفاوضات ما يسمى بالحل الدائم، التي من المفترض أن يتوصل باراك مع الرئيس الفلسطيني إلى اتفاق إطار بشأنها في شباط ٢٠٠٠، ستفتح على زمن غير محدد ولن يقدّر لها النجاح، نجاحاً حقيقياً وليس ملفقاً على طريقة أوسلو، والحل الوحيد هو الانسحاب الإسرائيلي الشامل من المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ورحيل الجنود والمستوطنين وترك الفلسطينيين يبنون دولتهم، وهذا الانسحاب لابد أن يشمل القدس، التي سيرتكب باراك خطأً كبيراً إذا واصل اعتقاده بإمكانية الاحتفاظ بها إلى الأبد، ويرتكب المفاوضون الفلسطينيون جريمة أكبر إذا منحوه ما يبرر له اعتقاده.

ويجب أن يترافق ذلك مع الاعتراف بحق اللاجئين بالعودة وتمكينهم منها لأن العودة ـ ليست ـ ويجب ألا تتحول لمجرد شعار، بل برنامج عمل حقيقي قابل للتنفيذ وهذه هي الدرب الوحيدة التي يجب أن تسلكها إسرائيل للحصول على أمنها وبدون ذلك لن يكون هناك حل.

وفي الوقت الذي مازال زعماء إسرائيل بعيدين جداً عن هذا النمط من التفكير ويساعدهم على ذلك بؤس القواعد التفاوضية الفلسطينية، فالمطلوب هنا برنامج جديد برنامج مقاومة بالأساس، للتصدي للبرنامج الإسرائيلي، وإعادة ترتيب جدول الأعمال الفلسطيني بما يحقق الأهداف الوطنية في العودة والدولة المستقلة والقدس وإزالة المستوطنات.

وهذا البرنامج يشترط إعادة ترتيب البيت الفلسطيني عبر البرنامج الوطني والميثاق الوطني الذي يجب أن يعاد إليه الاعتبار، لبناء جبهة موحدة لمواجهة الاحتلال بطبعته المنقحة وعبر إعادة اللحمة مع العرب الذين يقع على عاتقهم إعادة ترتيب أولوياتهم أيضاً باتجاه دعم شامل للموقف الفلسطيني، حتى يجد هذا الأخير حاضنة حقيقية لاتتركه معزولاً في مواجهة الضغوط الأمريكية الإسرائيلية من جهة ولاتعطيه مبرراً لمزيد من التنازلات من جهة أخرى.

وفي هذا الإطار تأتي الخطوة الموريتانية لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع دولة العدو لتوضح أحد تجليات الانهيار على الجبهة العربية، ومع ملاحظة أن موريتانيا دولة بلا أي دور في الصراع القائم إلا أن ما حدث يعد مؤشراً على بؤس وانهيار السياسة العربية وعجزها عن التصدي للمناورات الإسرائيلية والضغوط الأمريكية، تاركة المجال للولايات المتحدة لتعيد ترتيب البيت العربي على هواها ووفق مصالحها ومصالح حليفتها إسرائيل. سواء عبر الضغط والمساعدات الاقتصادية (في غياب المساعدات العربية) أو عبر سياسة خلق الأوهام وزرع الثكنات العسكرية في الخليج عبر الاستمرار بخلق أعداء وهميين للعرب، لتسويق السلاح الأمريكي، وإبعادهم عن التفكير بإسرائيل والخطورة الإستراتيجية التي تشكلها على مستقبلهم ومصالحهم.

خطوة موريتانيا تستحق إدانة كاملة، والأهم من ذلك أن ينتبه العرب لمنع مزيد من الانهيارات وأخيراً: عودة إلى البداية حيث يراهن باراك على قناة دافئة مع عرفات، بموازاة المفاوضات العلنية، إن هذا الكلام لايدعو إلا للشك وعدم الثقة، مذكرين بقناة أوسلو الكارثية، فهل ستؤدي القناة الجديدة إلى مزيد من التفريط يدفع ثمنه هذه المرة اللاجئون والقدس؟.

«الهدف» ٣١ تشرين اول ١٩٩٩ - العدد ١٢٩٩
السنة الحادية والثلاثون - الثمن ٢٠ ل.س/ ٣٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1299 - 31/10/1999

الهدف
AL - HADAF
سياسية عربية - تصدر مؤقتا كل أسبوعين



رئيس التحرير
د. ماهـر الطاهـر

سكرتير التحرير
خليـــل جنـداوي

مدير الادارة
محمد خير الاسعد

المدير الفني
زهـــدي العـدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ل.ل/ سوريا ٢٠ل س/ الاردن ٥٠٠ فلساً/ العراق ١٠ د.ع/ الإمارت ١٠ درهماً/ الجزائر ١٥ديناراً/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١.٢٥ د.ت/ صنعاء ١٥ ريالاً/ السودان ٦ جنيها/ المغرب ١١ درهماً/ امريكا وكندا ٣ دولار/ المانيا ٥ ماركات/ اسبانيا ٣٠٠ بيزيته.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد:
سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولارا/ بقية الدول العربية ٥٠ دولارا/ اوروبا ١٢٥ دولارا/ اسيا وافريقيا ١٠٠ دولارا/ الامريكتين. واستراليا ١٥٠ دولارا.
☆ يتم الاشتراك بارسال اشعار الايداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي: بنك بيروت والبلاد العربية.
شتورا ـ لبنان.
رقم الحساب AC.NO.22004
☆ او بارسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ ص.ب ٣٠١٩٢

المكاتب

دمشق: ص.ب ٣٠١٩٢
دمشق: ٦٣٢٨٢٦٧ - ٦٣١٩٣٧٤
بيروت: ٣٠٩٢٣٠/ عمان: ٦٩٦٣٤٠
الجزائر: ٥٩٤٥٤٨ - ٣٨٤٣٠٤
بغداد: ٧١٩١٦٢٢ - ٧١٧٤٧١٠
صنعاء: ٢٠٥٨٤٩

• التوزيع في الجمهورية العربية السورية:
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• التوزيع في المغرب:
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف

كلمة

حين ينهي القارئ تصفح هذا العدد، سيكتشف حتماً غياب الموضوعات العربية، وتلك التي تُعنى بشؤون العدو، وسيدرك السبب حتماً، حيث تضخم القسم الفلسطيني بسبب تضمنه ملفاً كبيراً عن عودة الرفيق أبو علي مصطفى لأرض الوطن، وأيضاً تحقيق طويل عن أهالي المحررين الأسرى في مخيم اليرموك وقرية سعسع.

لكن هذا لايعني أبداً أن لاأخبار عربية هامة حدثت خلال الأيام أو الأسابيع القليلة الماضية، فمن الانتخابات الرئاسية في تونس إلى تطورات الوضع في السودان وصولاً لجولة وزير الدفاع الأمريكي وليام كوهين في منطقة الخليج.

لكن الخبر الأبرز عربياً بلا منازع كان بدون شك قرار موريتانيا رفع مستوى تمثيلها الدبلوماسي مع الكيان الصهيوني ليصل إلى درجة تبادل السفراء، والملفت أن هذا القرار يجيء في وقت يحاول فيه أيهود باراك الترويج لنفسه في العالم كرجل سلام، رغم أنه في الداخل الإسرائيلي مازال يعرف باسم «باراكياهو»، حيث مازال يتشبث عملياً باللاءات السابقة التي تبناها سلفه.

ونتساءل لماذا هذه الهرولة من موريتانيا؟ ونخشى أن يكون السبب هو نفسه في حالات عديدة سابقة، محاولة كسب عطف السياسة الأمريكية عبر بوابة تل أبيب، على أمل أن يسفر هذا العطف عن تدفق المساعدات والمعونات الغربية الأمر الذي يقود كما يأملون لإنعاش أوضاعهم الاقتصادية.

ولو كان هذا دافع الحكومة الموريتانية حقاً، فنحن على قناعة تامة أن الزمن لن يطول بهم قبل أن يصابوا بالخيبة، بالضبط كما حصل سابقاً في مصر والأردن عندما روجوا للسلام مع الكيان الصهيوني على أنه سيحمل معه الرخاء والأحلام الوردية. لكن هذه الصورة تبددت بعد سنوات قليلة فقط، وليكتشف الواهمون أن ما عاشوه لم يكن إلا أضغاث أحلام...

موضوع الغلاف:



لماذا لايتم وقف المفاوضات
مالم يتم وقف الاستيطان؟
صفحة ٦

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

شؤون دولية

الهدف الثقافي

مرايا هذا الزمان

خليل جنداوي

الرفيق أبو علي والبوصلة التي لاتخطئ..

حين التأمل في الوضع الفلسطيني من زوايا عديدة، والتدقيق في ملابساته وتطوراته، يخطر في البال فوراً المثل الشعبي الذي يقول: «إن جن ربعك، فعقلك ماعاد ينفعك». بالتأكيد إن العقل لن يضر هنا، لكن فائدته ستنخفض إلى درجاتها الدنيا، فإن حدثت أحدهم عن الشرق أجابك على درب التبانة، وإن حاولت أن تحاوره عن الغرب حدثك عن ظاهرة النينو وتشي غيفارا، وإن اكتفي بذلك فانت بألف نعمة وإلا فانت معرض لمحاضرة عن الكسوف الشمسي وتأثيره على دول الجنوب.. طبعاً لا أعتقد أن أحداً سيخالفني الرأي إن قلت إن هذه الحالة ليست جديدة تماماً، فالصورة الفلسطينية دخلت منذ زمن بعيد مرحلة يشعر معها أقطاب المدرسة السوريالية بالغيرة والحسد، لكن المثير هنا أن حالة الجنون والعبث هذه باتت تزداد حدة بشكل لافت. والأمثلة هنا كثيرة لاتكاد تحصى، وإن كنا سنقصرها على واحد فقط.

لايرى أحد التنظيمات الفلسطينية الآن خطراً يتهدد القضية الوطنية أكثر من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فقضايا مثل الاستيطان وابتلاع الأراضي ومؤامرات التوطين وتهويد القدس تتراجع إلى المرتبة الثانية وربما الثالثة أو العاشرة أمام الخطر الذي تمثله الجبهة الشعبية!! وتأخذ الحملة التي يشنها هذا التنظيم طابعاً عبثياً حين يدور الحديث عن الرفيق أبو علي مصطفى وعودته لأرض الوطن.. وحسب الناطق الرسمي باسم هذا الفصيل فإن «عودة نائب الأمين العام للجبهة الشعبية هي التحاق بنهج التسوية ومؤسسات سلطة الحكم الذاتي» وليس هذا فقط، بل بالله دققوا في الجملة التالية: «إن هذه الخطوة من جانب الجبهة الشعبية ونائب أمينها العام تعد غدراً بجماهير الشعب الفلسطيني»!!

تخيلوا.. عودة الرفيق أبو علي تعد غدراً بجماهير الشعب الفلسطيني!! وممن؟ من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهنا نتذكر فوراً المثل الشعبي الذي سنورده بتصرف «فلان يحكي وعلتان يسمع»، وطبعاً لن نجرؤ على السؤال عمن أعطى الناطق الرسمي الحق بالتحدث باسم جماهير الشعب الفلسطيني، فهذه عادة قديمة وقع فيها الجميع، فليس هناك أسهل من إلباس أي موقف عباءة الشعب الفلسطيني وليظن أصحابه أنهم بذلك أكسبوه مناعة لاتقاوم. فما إن يقولوا: أن جماهير شعبنا ترفض... أو جماهير شعبنا تؤيد... أو جماهير شعبنا تندد... أو جماهير شعبنا تطالب... حتى يظنوا أن الأمر حسم سلفاً وكل الشعب بات في جيبهم.

لكن يبرز هنا سؤال يفتش بإلحاح عن إجابة: هل حقاً جماهير شعبنا تعد عودة أبو علي غدراً بها؟ الإجابة الوحيدة ستجدونها واضحة كالشمس في الترحيب الواسع الذي استُقبل به الرفيق أبو علي في كل مكان حل به من أرض الوطن. وعلى الأقل فأمامي الآن حوالي أربعون ورقة من صحف ومجلات مختلفة تصدر في الوطن المحتل وكل منها يتحدث عن زيارة أو لقاء قام به الرفيق أبو علي وكانت في استقباله جموع شعبية غفيرة لاقته بالترحيب والمحبة.. دعونا نفهم هل كل هذه الحشود التي قدرتها التقارير بالآلاف مجرد «هيزعة» أو «فبركة» إعلامية مصطنعة لذر الرماد في العيون أم هي تعبير ساطع عن أحاسيس البشر العفوية وقناعاتهم الواعية؟

ربما قال البعض هذه مشاعر شعبنا في الداخل فقط، أما الشتات فله وجهة نظر مختلفة... إذا كان هذا الأمر صحيحاً فهذا يعني قبل كل شيء أن العلاقة بين الداخل والشتات تعاني من خلل واضح يحتاج إلى علاجات سريعة. لكننا نعتقد أن الوضع ليس كذلك أبداً، فجماهير شعبنا في الشتات والتي تتشبث بكل ما أوتيت من قوة بحق العودة الذي نصت عليه كل مواثيق حقوق الإنسان وقرارات الشرعية الدولية، تدرك أيضاً أن إنجاز هذا الهدف وغيره من أهداف شعبنا يحتاج إلى نضال طويل وصعب، نضال لايُخاض فقط بالبيانات والشعارات الرنانة التي لاتسمن ولاتغني من جوع، بل نضال جدي يمارسه المكافحون المخلصون الذين يعرفون قبل كل شيء كيف يخوضون نضالهم وكيف يجعلونه مجدياً.. وأبو علي مصطفى بالتأكيد من هؤلاء، وهو لم يعد إلى أرض الوطن إلا ليواصل كفاحه الذي بدأه قبل أكثر من أربعين سنة في سبيل فلسطين..

في جميع الأحوال... كل هذا اللغو لن يقلل من قناعتنا الراسخة بصحة قرار عودة الرفيق أبو علي وفرحتنا به وهو يعيد مد جذوره في أرض الوطن، وليضيف لرصيد الجبهة الشعبية في الداخل ثقلاً نوعياً تبقى فلسطين بحاجة له ولغيره.

وكما أكّد الرفيق أبو علي مصطفى دائماً فإن حركتنا ستظل جديرة بالثقة طالما تبعنا البوصلة الأمينة التي لاتشير إلا لاتجاه واحد فقط.. نحو فلسطين..

الحدث

منذ أن بدأت المفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية، كانت إسرائيل قد رسمت وبلورت استراتيجية وخطة عمل محددة تقوم على قاعدة توسيع وتصعيد سياسة الاستيطان وزرع المستوطنين لفرض واقع سياسي وجغرافي في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

واصلت إسرائيل محاولات فرض استراتيجيتها ومفهومها لسلام زائف قام ويقوم على قاعدة الوصول إلى أهدافها السياسية البعيدة المدى من خلال المفاوضات وخداع الرأي العام العالمي في الوقت الذي لم تتوقف فيه عن تهويد الأراضي الفلسطينية وتحويلها إلى جزر معزولة وإحاطتها بالمستوطنات والمستوطنين من كل جانب.

لماذا لايتم وقف المفاوضات ما لم يتم وقف الاستيطان؟

ماهر الطاهر

إن مفهوم إسرائيل للسلام وهدفها من المفاوضات هو فرض ما عجزت الحرب والوسائل العسكرية عن تحقيقه، أي متابعة لحروب الصهيونية ومشروعها بوسائل أخرى للسيطرة على الأرض الفلسطينية مقابل بعض التنازلات الشكلية التي يجري تقديمها للسلطة الفلسطينية.

لاشك أن استراتيجية إسرائيل في المفاوضات مع الجانب الفلسطيني كان قد أعلن عنها إسحاق شامير بعد تركه لمنصبه كرئيس للوزراء عندما قال بعد مشاركته في مؤتمر مدريد: إنه كان يخطط لاستمرار التفاوض مع الفلسطينيين لمدة عشر سنوات على أن لايوافق بعد ذلك سوى على حكم ذاتي للسكان دون الأرض، وبعد ذلك استمرت الحكومات الإسرائيلية سواءً العمل أو الليكود في السير بنفس الاتجاه مع بعض الفوارق الشكلية. التي لاتمس جوهر الرؤية الإسرائيلية في استمرار السيطرة الحقيقية على الأراضي الفلسطينية، وزرعها بمئات المستوطنات وجيوش من المستوطنين، واليوم عندما يعلن أيهود باراك رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد الذي رحب به العالم أجمل ترحيب كمنقذ لعملية السلام بعد رحيل نتنياهو، عندما يعلن أنه يقبل بإقامة دولة فلسطينية على ١٨٪ من أراضي الضفة الفلسطينية نستطيع أن ندرك حقيقة رغبته ونواياه في سلام زائف يقوم على جثة الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف، ونستطيع أن ندرك استمرار ذات الاستراتيجية الصهيونية في استمرار الاحتلال تحت يافطة التفاوض واللقاءات والمحادثات.

لقد مارست حكومة نتنياهو ومن بعدها حكومة باراك سياسة تستند إلى مرتكزين أساسيين: الأول استمرار المباحثات مع السلطة الفلسطينية وإطالة أمد المفاوضات إلى أبعد مدى ممكن والثاني فرض أقصى ما تستطيعه إسرائيل من حقائق ووقائع سياسية وجغرافية وأمنية على الأرض وبأسرع وتيرة ممكنة للتسليم بهذه الحقائق والانطلاق منها في جولات التفاوض اللاحقة، أي أنّ المفاوض الإسرائيلي يعمل على قاعدة المشاغلة السياسية وخداع العالم بانه يسعى للسلام من جهة، ومن جهة أخرى يعمل على فرض الوقائع الاستيطانية لتنفيذ البرنامج الصهيوني في تهويد الأرض والسيطرة عليها وقد ابتدع رئيس الوزراء الإسرائيلي باراك معزوفة وخدعة المستوطنات غير القانونية التي تم تشييدها من المستوطنين بدون ترخيص من الحكومة والمستوطنات القانونية والشرعية التي تمت بموافقة الحكومة.

يحاول باراك أن يقدم نفسه بصورة الرجل الذكي الذي سيزيل مستوطنات غير قانونية، وكأن له الحق في إقامة مستوطنات قانونية على أراضي الآخرين متجاهلاً أن كل المستوطنات على الأرض الفلسطينية غير قانونية وغير شرعية سواءً تم إقامتها بقرارات وموافقة من الحكومة الإسرائيلية أم لا وكل لعبة باراك حول إزالة بعض البؤر الاستيطانية لعبة مكشوفة لن تنطلي على أحد لأنها استهدفت بعض المواقع الشكلية ولم تمس الكتل الاستيطانية الكبرى التي تملأ الأرض الفلسطينية طولاً وعرضاً، وبالتالي فإن أي سلام لايمكن أن يقوم إلا على أساس إزالة كافة المستوطنات وترحيل المستوطنين.

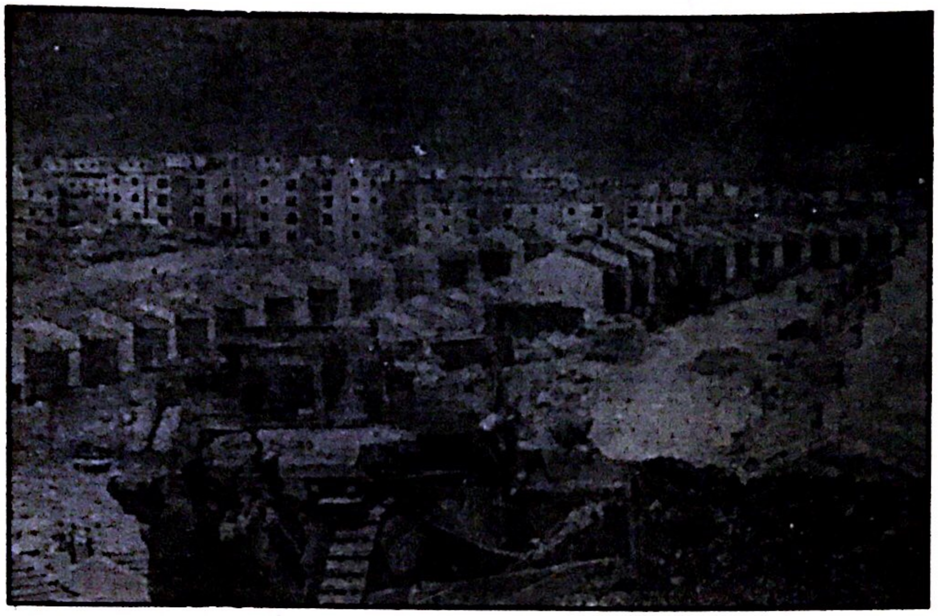
لقد راهن الطرف الفلسطيني الموقع على اتفاقات أوسلو، أن هذه الاتفاقات ستشكل النواة والبداية نحو بناء دولة فلسطينية فأبدى استعداده لتقديم كافة التنازلات السياسية المطلوبة، وقد جاء ذلك كله ضمن تصورات وأوهام أن هذه التنازلات الفلسطينية ستكون محصلتها بداية الطريق نحو انتزاع دولة فلسطينية في الضفة والقطاع ولكن

الواقع والحياة برهنا بما لايدع مجالاً للشك أن إسرائيل تريد كل شيء مقابل حكم ذاتي مكبل بمختلف أنواع القيود التي تمنع قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وإلا ما معنى استمرار وتصاعد الاستيطان في ظل حكومة باراك التي تدعي أنها تريد السلام وما معنى اقتراح باراك بإعلان دولة على ١٨٪ من أراضي الضفة؟

إن ما تستهدفه إسرائيل وتفرضه على الأرض ليس أكثر من نظام معازل يفصل بين المدن الفلسطينية في الضفة ويفصل بين الضفة والقطاع والقدس، ويؤمن استمرار سيطرة الاحتلال على القسم الأكبر من الأراضي المحتلة والاحتفاظ بممرات تقطع المناطق الفلسطينية في الشمال والجنوب لتصلها بالمستوطنات اليهودية لتكريس مبدأ الكانتونات التي تتصل بعضها ببعض عبر ممرات مخصصة للفلسطينيين، وهو الأمر الذي يجعل إمكان التواصل الجغرافي بين المناطق الفلسطينية من دون تدخل إسرائيل مسألة مستحيلة. أي أن ما يجري هو قيام نظام فلسطيني - إسرائيلي أشبه بنظام «الابارتهايد» الذي كان سائداً في جنوب أفريقيا. وهذا يعني أننا لانشهد قيام دولة فلسطينية كما يظن البعض، بل نشهد عملية فصل بين مجموعتين سكانيتين تكون السيادة لواحدة منهما لأن مجرد وجود الاستيطان يعني النفي الكامل لإقامة دولة فلسطينية فلا سيادة مع الاستيطان. ونظن أن رئيس الحكومة الإسرائيلية باراك يدرك ذلك جيداً لذلك تراه يتحدث عن الفصل الاقتصادي والسكاني بين الفلسطينيين وإسرائيل لأنه يعي جيداً أن هذا الفصل في ظل الوقائع الاستيطانية الراهنة سيضمن له السيطرة والتحكم.

إن الشعب الفلسطيني يريد الفصل الاقتصادي وإنهاء التبعية الاقتصادية للاحتلال لكن ذلك لن يتحقق إلا من خلال قيام دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة حقيقية وانسحاب إسرائيل الكامل من الأراضي المحتلة وإزالة المستوطنات وترحيل المستوطنين.

لكن مخطط إسرائيل الحقيقي يقوم على قاعدة وجود كيان فلسطيني شكلي يفتقر إلى الحد الأدنى من مقومات السيادة والاستقلال وإلا ما معنى الضجيج الذي أثير حول ما سمي بالممر الآمن بين قطاع غزة والضفة الفلسطينية، هذا الممر الخاضع للسيطرة الأمنية الإسرائيلية الكاملة إذ لايستطيع الفلسطيني أن يتحرك داخل أراضيه إلا بموافقة ورقابة إسرائيلية مطلقة وبالتالي فإن هذا الممر لاتتوفر فيه مواصفات الحد الأدنى من الأمن والأمان، بل هو ممر يمكن أن يشكل مصيدة للفلسطينيين



وخاضع بشكل كامل لسلطات الاحتلال.

لقد كشفت الحقائق بجلاء أن إسرائيل حالة عدوانية تعمل على فرض مفهومها لحل سياسي تصفوي يضمن تحقيق المزيد من القفزات للمشروع الصهيوني، وهي في مفهومها لهذا الحل تلقى كامل الدعم والتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية لأن السياسة الأمريكية ليست منحازة فقط، بل تتبنى السياسة الإسرائيلية بشكل شبه كامل انطلاقاً من رؤيتها لصالحها الأمنية والاستراتيجية في المنطقة. والولايات المتحدة على الرغم من اتضاح مواقف إسرائيل نراها تمدها بالمزيد من الأسلحة المتطورة التي تضمن تفوقها في المنطقة بنفس الوقت الذي تتظاهر فيه أنها غير راضية عن سياسة توسيع الاستيطان، لكن عدم الرضا هذا لم يصل في أي لحظة إلى حد ممارسة ضغوط جدية، يعلم الجميع أن الإدارة الأمريكية قادرة على ممارستها فيما لو أرادت، ولكنها لاترغب في ذلك، بل تكافئ إسرائيل بالمزيد من المساعدات العسكرية والاقتصادية.

على ضوء النتائج والدروس المستخلصة من المفاوضات وما وصلت إليه، وعلى ضوء استمرار وتصاعد سياسة الاستيطان في ظل استمرار المفاوضات فإن السؤال الأساسي المطروح هو: إذا كانت إسرائيل تستمر في فرض سياسة الأمر الواقع وزرع المستوطنات والاستيلاء على الأرض لتخلق كل يوم حقائق جغرافية جديدة؟ فما هو معنى استمرار المفاوضات من جانب السلطة الفلسطينية؟ ألا يشكل ذلك تغطية لإسرائيل في خداعها للعالم بأنها تريد السلام وتسعى إليه، في الوقت الذي تدمّر فيه أي معنى حقيقي للسلام.

لماذا لايتخذ الجانب الفلسطيني المفاوض قراراً واضحاً بإيقاف أي شكل من أشكال المفاوضات ما لم يتم وقف الاستيطان؟ ولماذا لايتم وضع العالم بأسره أمام مسؤولياته للضغط على إسرائيل من خلال وقف لعبة المفاوضات التي لم تعد تخدم سوى إسرائيل وسياستها التوسعية العدوانية التي تجري في ظل استمرار اللقاءات والمحادثات.

لقد أعلنت السلطة الفلسطينية مراراً وتكراراً أنها لن تعود للمفاوضات ما لم يتم وقف الاستيطان، لكنها تراجعت عن مواقفها المعلنة في الوقت الذي لم تتراجع فيه إسرائيل عن ممارساتها الاستيطانية، بل وسعت دائرة هذه الممارسات. ثم انتقل حديث السلطة عن تجميد الاستيطان ثم التخفيف، ولكن في كل مرة كانت السلطة تعود للتفاوض وتقدم تنازلات جديدة وآخرها اتفاق واي ريفر المعدّل في شرم الشيخ والموافقة على شروط إسرائيل فيما يتعلق «بالممر الآمن» الذي يخضع بصورة كاملة لسلطات الاحتلال ألم يحن الوقت لاستخلاص الدروس وإعادة النظر بمجمل استراتيجية التفاوض الفلسطينية ووقف المفاوضات ما لم يتم وقف الاستيطان؟ إن اتخاذ هكذا موقف بات بشكل ضرورة لوضع العالم بأسره أمام مسؤولياته، ومثل هذا الموقف سيكون مفهوماً من الرأي العام العالمي الذي يدرك أن لاسلام مع الاستيطان.

كذلك فإن مثل هذا الموقف يمكن أن يشكل مقدمة لتصليب الحالة الداخلية الفلسطينية واستنهاض طاقات الشعب وبدون ذلك سيبقى المفاوض الفلسطيني يدور في حلقة مفرغة ويقدم تنازلات جديدة تخدم في النهاية مخططات إسرائيل في استمرار الاستيلاء على الأرض الفلسطينية وتهويدها وفرض سياسة الأمر الواقع ■■

أبو علي يزور أهالي الشهداء في عرابة وحفل تكريم وطني على شرف عودته

فلسطين - علي سمودي - خاص الهدف

(بالروح بالدم نفديك يا فلسطين.. بالروح بالدم نفديك يا حكيم.. شعبية شعبية.. عدنا لنقاوم على الثوابت لانساوم)، بهذه الشعارات والنداءات والهتافات استقبلت الجماهير والقوى والفصائل والفعاليات الفلسطينية القائد أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فور دخوله استراحة اريحا عائداً للوطن بعد ٣٢ عاماً من الإبعاد القسري فمنذ ساعات الصباح الباكر لهذا اليوم المميز في تاريخ شعبنا احتشد المئات من أبناء شعبنا ومناضليه من جميع أرجاء الأرض الفلسطينية من المثلث والجليل والنقب والجولان ومن القدس وحيفا ويافا والضفة رجالاً ونساء، شيوخاً وأطفالاً تدافعوا رغم حواجز الاحتلال بانتظاره وما أن أعلن عريف الحفل عن وصوله حتى تعالت الهتافات ورفعت الأعلام وانطلقت أهازيج أمهات الشهداء والمعتقلين تبارك عودة المناضل الرمز وتهتف (فلسطين عربية أبو علي رمز الحرية).

وتدافعت الجموع نحو أبو علي لتعانقه ودموع الفرح تمتزج بدموع الحزن والألم وكان العناق الذي صفق له الجميع بين أبو علي والقائد الجبهاوي أبو رفعت محمد رجا نعيرات شيخ المعتقلين الذي أبى إلا أن يكون في مقدمة المستقبلين والمهنئين.

وأقيم حفل استقبال جماهيري على الاستراحة تحدث به كبار المسؤولين وقادة الفصائل الوطنية والجبهة الشعبية الذين اعتبروا عودة أبو علي نقطة انطلاقة لفصائل العمل الوطني على طريق تجسيد الحقوق والأهداف الوطنية وأشادوا بالتاريخ النضالي المشرف لأبو علي وللجبهة ولمواقفها الوطنية مؤكدين على أهمية الاستمرار في الحوار الوطني.

رفض لقاءات الصحفيين الصهاينة

وحظيت عودة الرفيق أبو علي باهتمام إعلامي بارز من كافة وسائل الإعلام العالمية والعربية والتي قامت بتغطية عملية العودة وإجراء المقابلات معه إلا أنه رفض الإدلاء بأي تصريحات صحفية لوسائل الإعلام الصهيونية التي حضرت جميعها إلى الحفل لتغطية الخبر ولكنه رفض مقابلة أي صحفي صهيوني.

موكب حاشد

وفي موكب مهيب ومسيرة جماهيرية حاشدة انطلق أبو علي إلى مسقط رأسه عرابة فمر من أريحا وطوباس والفارعة وعقابا والزبابدة وقباطية التي تزينت جميعها بصور الرفيق الحكيم وأبو علي واليافطات التي حملت عبارات الترحيب به ولكنه أبى أن يدخل عرابة قبل أن يتوجه إلى النصب التذكاري لشهداء الجيش العراقي في حرب الـ ١٩٤٨ فوضع إكليلاً من الزهور ثم قال إننا نعاهدكم مقسمين بكل الدماء الطاهرة التي روت أرض فلسطين على الإستمرار لن تتوقف مسيرة النضال وسنواصل درب الكفاح حتى تحرير كل ذرة تراب من الوطن.

عرابة تحتضن القائد

وانطلق الموكب إلى عرابة التي خرجت عن بكرة أبيها ومعها أبناء شعبنا من كل مكان لتستقبل ابنها البار واحتشد الآلاف على امتداد الشارع الرئيسي لتتعالى الهتافات منذ اللحظة الأولى التي وطئت فيها قدماه أرض عرابة وتحول الحفل لعرس شعبي ومسيرة تقدمها الرفيق أبو علي وقادة الجبهة الشعبية والحركة الوطنية متجهين إلى ضريح والده الذي توفي قبل عامين دون مشاهدته واغرورقت عيناه بالدموع وهو يضع إكليل العهد والوفاء لذكرى والده الطيبة وتنساب الدموع من على وجنات جموع الحاضرين ثم ينطلق إلى والدته المقعدة المريضة ليكون عناق الفرح والألم وتمتزج دموع الأم الحنونة التي انتظرته طويلاً وعانت في غربته كثيراً مع دموع الابن القائد الذي اقسم أنه لن يهدأ له بال حتى يعود كل غائب لأرضه وعائلته وتنتهي فصول الألم والمعاناة والغربة.

ثم انطلق الموكب مرة أخرى ليجوب الرفيق أبو علي أرجاء بلدته مستعيداً ذكريات الأمس ومعانقاً الأهل والأصدقاء والجيران ورفاق الدرب، الفرح ينتشر في كل مكان وعلى كل الوجوه التي حضرت من أقصى فلسطين إلى أقصاها لتحتفل بهذه المناسبة واستقر الموكب في بلدية عرابة لتستمر الاحتفالات حتى ساعات الفجر الأولى.

وفود

وعلى مدار أربعة أيام تدافعت وفود المهنئين والمعاهدين إلى عرابة من كافة المحافظات في الضفة والقدس وداخل أراضينا المحتلة عام ١٩٤٨ تحولت البلدة إلى مركز نشاط وطني دائم وعاشت على مدار الأيام الأربعة أعراس وطنية عبّرت فيها عن تقديرها وإجلالها للجبهة ومواقفها والرفيق أبو علي وضمت الوفود وزراء السلطة الوطنية وأعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة والمجلسين الوطني والتشريعي وأمناء وقادة الفصائل والحركة الوطنية والإسلامية والمؤسسات والفعاليات والدوائر واللجان الشعبية والجماهيرية.

الشهداء والمعتقلون أولاً

وقبل أن يتوجه في اليوم الثاني من عودته إلى مركز استقبال المهنئين توجه الرفيق أبو علي إلى منازل أسر الشهداء في عرابة وعبّر لهم عن تقدير الجبهة لهم ولنضالاتهم وتمسكها بدماء وعهد الشهداء حتى تتجسد الطموحات والثوابت والأهداف. كما والتقى أهالي الأسرى والمؤسسات التي تعنى بقضايا المعتقلين خاصة جمعية أصدقاء المعتقل والسجين في الناصرة ورئيسها أحمد حبيب الله فأكد أبو علي أن الجبهة ستواصل النضال والدفاع عن الأسرى والمعتقلين وشعبنا ولن تفرط أو تتنازل. كما والتقى أسرى الجبهة الذين أفرج عنهم مؤخراً وهنأهم مؤكداً على الاستمرار في النضال على طريق حرية أرضنا وشعبنا.

كلمات ترحيبية

وخلال احتفالات الترحيب أُلقيت عدة كلمات من أبرزها كلمة رجا اغباريه رئيس حركة أبناء البلد في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ الذي نقل تحيات وتهاني جماهير الداخل والقوى والأحزاب فيها لأبو علي مؤكداً دعم الحركة للجبهة ورفضها لكافة المشاريع التصفوية والتفافها حول المنظمة ودعا الجبهة للتمسك بنهجها للوقوف في وجه المخططات والمشاريع التآمرية ودعا المنظمة للإصرار على إثارة قضية أسراها من معتقلي الداخل ورفض محاولات الاحتلال استثناءهم. ونقل أحمد حبيب الله رئيس جمعية أصدقاء المعتقلين والسجين في الناصرة تهاني وتحيات الأسرى في سجون الاحتلال لأبو علي مناشداً إياه وضع قضيتهم على رأس أولويات نشاطاته وتحركاته وقال تنحني الهامات إجلالاً لرفاق الحكيم وغسان ونحن على ثقة أن العودة سترفد

الوطن والشعب بقوة للصمود والاستمرار والعطاء نحو تحشيد الأهداف التي لاتتنازل عنها.

وقال المهندس عماد الفالوجي وزير الاتصالات أن عودة أبو علي لها علامات خاصة على كل المستويات لأنها تكريس لحق العودة وتأكيد على حرص الجبهة على شعبها والعمل من خلال الحوار على وضع استراتيجية لانقاذه وتحقيق الطموحات.

النائب بشارة

وهنأ النائب والمفكر العربي عزمي بشارة من فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ أبو علي وشعبنا الفلسطيني وحيًا مشاركة الجبهة بالحوار وحرصها الشديد على الوحدة الوطنية مؤكداً أن شعبنا سيحقق أهدافه إذا واصل هذا الطريق وأكد دعم جماهير الداخل لشعبنا وحقنا العادل في إقامة الدولة وأكد صمودهم وتمسكهم بهويتهم رغم كل السياسات الإسرائيلية وأشاد محافظ قلقيلية مصطفى المالكي بأبو علي ومواقفه النضالية المتميزة عبر مسيرة الجبهة والثورة وقال أن هذا التاريخ يعزز إيماننا بأن مسيرتنا ستتواصل حتى نحرر الأرض ونوحد الصفوف ونحقق النصر.

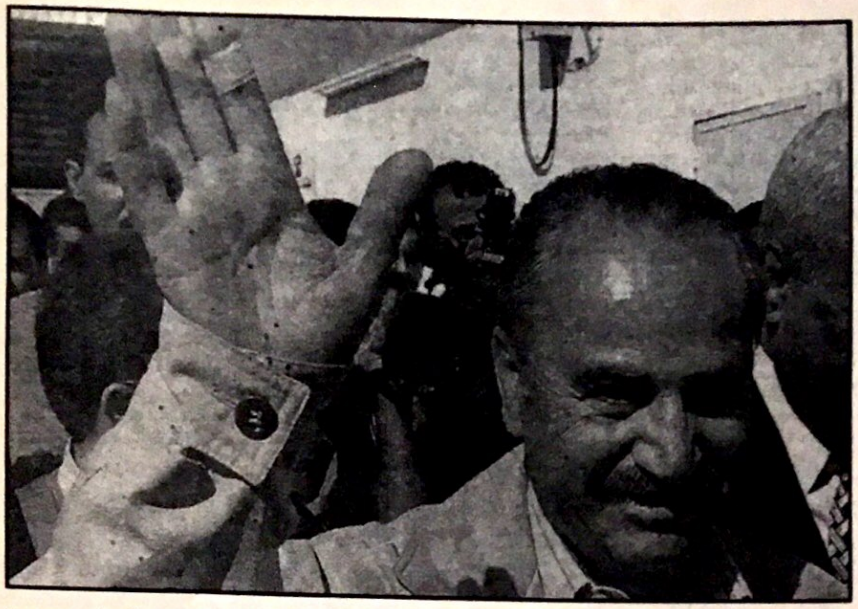
الوزير صلاح

أكد وزير التعليم العالي منذر صلاح أن قرار العودة كان صائباً لأنه علينا جميعاً العمل على حشد كل الطاقات والقيادات داخل الوطن لنواصل المعركة الحقيقية في بناء الإنسان والوطن وأكد على أهمية حشد كل القوى في إطار وحدة وطنية واحدة لنصل إلى الحقوق والأهداف والثوابت.

وحيًا إبراهيم خريشي رئيس اتحاد طلبة فلسطين الجبهة والرفيق أبو علي مهنئاً شعبنا بهذا الانتصار مؤكداً أن تلاحم شعبنا وطلائعه الوطنية كان وسيبقى صمام الأمان الذي تتحطم على صخرة صلابته كل المؤامرات والمخططات.

جنين تستقبل أبو علي

وبعد اختتام مراسم الاستقبال التي أقامتها الجبهة للرفيق أبو علي في عرابة توجه إلى مدينة جنين ليستقبل في موكب رسمي انطلق إلى مقبرة شهداء الانتفاضة حيث وضع إكليلاً من الزهور عليه ثم اقامت بلدية ومحافظة جنين حفل تكريم على شرف عودته في بلدية جنين افتتحه بالوقوف إجلالاً لأرواح الشهداء فكلمة وليد أبو مويس رئيس البلدية الذي أكد أن عودة أبو علي مكسب وطني فلسطيني داعياً الجبهة للاستمرار في نهجها الوطني على طريق تحرير أرضنا وشعبنا مؤكداً أن الجبهة تميزت دوما بحرصها على الثوابت ودفاعها عن القضية



وتمسكها بالوحدة الوطنية.

كلمة القوى الوطنية

ورحب قدورة موسى في كلمة القوى الوطنية بالقائد الذي جسد نموذجاً وطنياً للوحدة والتماسك وقال هذا يوم عظيم ونحن نرى حق العودة وتقرير المصير يتحقق بعودة قادتنا ومناضلينا لنواصل المسيرة موحدين متماسكين تحت راية المنظمة والوحدة الوطنية.

رسالة الأسرى وذويهم

وتلا ناصر أبو عزيز من قيادة الجبهة رسالة من أسرى عسقلان وذويهم قدمت التهاني بعودة أبو علي ودعته ليبقى داعماً لنضالهم من أجل التحرر من قيود الاحتلال وناشدوه التحرك لإثارة قضيتهم في كافة المحافل خاصة في ظل تصاعد الهجمة الإسرائيلية على الحركة الأسيرة مؤكدين أنهم سيعلنون الإضراب المفتوح احتجاجاً على إجراءات الإدارة الأخيرة ومداهمتها أمس الأول للأقسام.

كلمة المحافظ

وقال المحافظ زهير مناصرة نحن نشعر بفرحة صادقة بعودة قائد من الجبهة التي لها تاريخها العريق في النضال في تاريخ شعبنا والأمة العربية، إن عودة مناضلينا وقادتنا تحقق بنضالات وتضحيات ومعاناة شعبنا ونعود واحداً واحداً وفصيلاً فصيلاً لأرضنا لأن شعبنا ناضل ولازال مستعداً للنضال وأضاف نفرح بعودة أبو علي كما نفرح بتحرير كل شبر لأنه مقدمة لتحرير الوطن وبحرية كل أسير بداية حرية كل الأسرى ونفرح بالسيادة المجزوءة والمقطعة أوصالها مقدمة لاستكمال السيادة والدولة. وأكد على أهمية حشد الطاقات والصفوف والاستمرار في مسيرة الحوار والوحدة وقال يزيد من فرحتنا عودة فصيل أساسي في مرحلة خطيرة تحتاج فيها لحمة وحرص الجبهة ونضالها معنا على درب الحرية والدولة.

كلمة أبو علي

وحيًا أبو علي في بداية كلمته الشهداء والأسرى والجرحى والمعذبين وشعبنا وقال إننا نقول لهم جميعاً لن نتخلى عن الأمانة وسنبقى متمسكين بالثوابت الوطنية وفي مقدمتها حق العودة لأنها المسألة المركزية الكبرى في معركتنا الطويلة والتي يجب أن تحتل المكانة الأبرز في برنامجنا ونضالنا والتركيز على حق العودة دون الانتقاص من أي مهمة أخرى من المهام الكثيرة التي أمامنا وعلينا الإدراك أننا لازلنا في مرحلة تحرر وطني يدور الاشتباك المفتوح فيها بيننا وبين العدو على كل قضية وبرنامج ونقطة في برنامجنا الوطني وقال نحن بحاجة لإمتلاك عناصر القوة الذاتية بوحدة وطنية راسخة وبناء ديمقراطي حقيقي لنتواصل مع شعبنا في وضع برنامج وطني وأن أي محاولات لافساد الثوابت والوحدة فهو إفساد على إجماع المشروع الوطني الذي علينا حمايته والعودة إلى الثوابت لأن طريق أوسلو وما تلاها لن تحقق السلام أو حقوقنا ولن تجسد الحد الأدنى من طموحاتنا وأهدافنا مما يفرض علينا التحرك مع كل المخلصين لوضع استراتيجية وطنية، وأكد أبو علي أهمية الاستمرار في الحوار الوطني من أجل السعي الحثيث الجدي لحماية البرنامج الوطني والحفاظ على الوحدة السياسية لشعبنا وم.ت.ف ولأن شعبنا لن يقبل بأقل من حقوقه كاملة ولن يسمح لأحد بالانتقاص منها ■■

عودة الرفيق أبو علي مصطفى إلى أرض الوطن

احتفالات ومهرجانات وأعراس شعبية في مدن وقرى الضفة الفلسطينية

إعداد/ عصام سلامة

لاقت عودة الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى أرض الوطن صدى إيجابياً واسعاً في كافة التجمعات الفلسطينية، حيث زارته في بلدته عرابة فور وصوله وفود رسمية وشعبية من مختلف أبناء شعبنا في فلسطين، من الضفة ومن القدس، ومن فلسطينيي الـ (٤٨) من المثلث والجليل والنقب، ومن الجولان، كما لقي ترحيباً حاراً من مختلف الفئات والقوى السياسية التي كانت في استقباله إثر عودته إلى أرض الوطن في نهاية شهر أيلول ٩٩م الماضي، كما نظمت فروع ومنظمات الجبهة الشعبية العديد من المهرجانات والنشاطات الجماهيرية إحتفاءً بعودته إلى أرض الوطن الأم فلسطين لاستكمال المسيرة النضالية حتى تحقيق أهدافنا الوطنية في العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة.

وقد وردنا (تقرير خاص بالهدف من السيد علي سمودي ـ فلسطين) يغطي نشاطات الأيام الأولى لعودة الرفيق أبو علي، لذا فإننا هنا نكتفي باستكمال هذه النشاطات والفعاليات.

الرفيق أبو علي مصطفى يؤكد على التمسك بالثوابت الوطنية

قبل مغادرته عمان إلى أرض الوطن، كان الرفيق أبو علي مصطفى قد أدلى بتصريح لصحيفة «القدس» أكد فيه على تمسك الجبهة الشعبية بالثوابت الوطنية ومواصلة المسيرة النضالية نحو إحقاق الحقوق الوطنية العادلة والمشروعة لشعبنا الفلسطيني، وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية كاملة السيادة وعاصمتها القدس، وأضاف الرفيق أبو علي قائلاً: إنطلاقاً من القناعة بحق كل فلسطيني بالعودة، كان قرار العودة لمواصلة المسيرة الكفاحية لتحرير الوطن، وأوضح: أن الحوار الوطني مع حركة «فتح» وعودته تنطلقان من المصلحة الوطنية لشعبنا، وليس على قاعدة التغيير في ثوابت الجبهة واستراتيجيتها، لأننا على قناعة راسخة أن الاتفاقات الموقعة لاتصنع السلام، وأشار: إلى أهمية ترتيب البيت الفلسطيني، وتفعيل منظمة التحرير لوضع استراتيجية وطنية شاملة بمشاركة الجميع على الأسس والقواسم المشتركة، وأكد: أن الجبهة الشعبية لن تشارك في مفاوضات الحل النهائي، وأن عودته لاتعني أي تغيير أو انخراط في السلطة أو وفودها التفاوضية.

زار مخيمات نابلس الثلاثة: الرفيق أبو علي مصطفى: لا سلام دون ضمان حق العودة للاجئين الفلسطينيين

وقد ذكرت صحيفة «القدس»: أن الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين زار مقر محافظة نابلس والبلدية وغرفة التجارة والصناعة وعدداً من المؤسسات الأخرى، كما زار مخيماتها الثلاثة «بلاطة وعسكر وعين بيت الماء» كما التقى عدداً من أسر الشهداء وزار ضريح الجندي الأردني الشهيد أبو هاشم في منطقة «وادي التفاح» وذلك يومي ٩-١٩٩٩/١٠/١٠م.

وتلقى الرفيق أبو علي رسائل تهنئة من أسرى الجبهة والحركة الوطنية في السجون الإسرائيلية وقدّم الأسرى تهانيهم له بمناسبة عودته للوطن، كما ناشد الأسرى-الرفيق أبو علي الوقوف إلى جانبهم والاستمرار في رفع صوتهم عالياً لنصرتهم ومؤازرتهم والضغط لإثارة قضيتهم على كافة المستويات.

وقد أكد الرفيق أبو علي في لقائه مع أهالي مخيمات نابلس: أنه لاسلام في المنطقة دون ضمان حق العودة لأربعة ملايين لاجئ فلسطيني اقتلعوا من أرضهم بالقوة، وشدد على ضرورة مجابهة كل المحاولات الرامية لتقسيم شعبنا الفلسطيني إلى «داخل وخارج»، موضحاً بأن مثل هذه المحاولات هدفها الالتفاف على قضية اللاجئين وحرمانهم من حقهم في العودة واستبدال هذا الحق بمشاريع لتوطينهم هنا وهناك.

وقال: علينا التمسك بوحدة أرضنا وشعبنا وقضيتنا وأكد الرفيق أبو علي مصطفى حرص الجبهة الشعبية المطلق على حماية الوحدة السياسية لشعبنا الفلسطيني وحماية م.ت.ف وتجديد وتفعيل مؤسساتها على أسس ديمقراطية باعتبارها الجهة الوحيدة التي توحد شعبنا في الداخل والخارج، كما أشار إلى أن الجبهة سوف تمضي في سياسة الحوار الوطني من أجل الحفاظ على هذه المؤسسة.

وثمّن الرفيق أبو علي الدور النضالي المميز للمخيمات الفلسطينية خلال مختلف مراحل النضال الوطني وخاصة فترة الانتفاضة، واشاد بالشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن قضيتهم العادلة.

وكان في استقبال الرفيق أبو علي مصطفى عند المدخل الغربي لمدينة نابلس عدد كبير من كوادر وأعضاء الجبهة وممثلو التيارات السياسية والمؤسسات الرسمية والشعبية.

وقد زار الرفيق أبو علي مقابر الشهداء والنصب التذكارية لهم في المخيمات الثلاثة ووضع أكاليل الزهور عليها، كما زار مقبرة شهداء الجيش العراقي في منطقة عسكر.

ثم أقام محافظ مدينة نابلس العميد محمود العالول مأدبة غداء على شرف الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية.

والقى المحافظ كلمة أشاد فيها بالدور النضالي للرفيق أبي علي مصطفى.

زار مقر المجلس الوطني وعدداً من مؤسسات نابلس

أبو علي مصطفى: لابد من توسيع الحوار واتفقنا على الأسس والتنفيذ هو المحك

كما زار الرفيق أبو علي مصطفى مقر المجلس الوطني وقد تحدث أمام ممثلي عدد من المؤسسات الرسمية والشعبية والتنظيمات السياسية في قاعة المجلس حيث قال: إن الحوار الوطني ما يزال في البداية ولابد من العمل على توسيع قاعدته ليشمل الجميع، ولابد من المضي قدماً في حوار حقيقي يتناسب وحجم المرحلة والذي يتطلب مد جسور الثقة بين الأطراف كافة، ولايعقل على سبيل المثال الحديث عن حوار جدي مع وجود معتقلين سياسيين في سجون السلطة، كما تحدث عن مجريات جلسات الحوار بين الجبهة الشعبية وحركة فتح مشيراً إلى أنه تم التركيز خلال هذا الحوار على خمس قضايا رئيسية تتعلق بالإصلاح الديمقراطي لمنظمة التحرير، والديمقراطية داخل المجتمع الفلسطيني

وإعلان قيام الدولة ودور الاتحادات الشعبية وتوسيع قاعدة الحوار.

وأضاف: تمّ التركيز خلال الحوار على ضرورة بناء وإعادة تفعيل مؤسسات المنظمة بما فيها المجلس الوطني الذي اقتصر عمله في الفترة الأخيرة على عملية التصويت على إلغاء بنود من الميثاق، وأكد بأن لدى الشعب الفلسطيني وخاصة في الشتات قلق كبير حول مستقبل المنظمة والمطلوب هو تعزيز ثقة الجماهير بالمنظمة باعتبارها الجهة الوحيدة القادرة على جمع الشعب الفلسطيني.

وأشار الرفيق أبو علي مصطفى: إلى أنه تمّ التوقف خلال الحوار مع «فتح» عند مسألة الديمقراطية، وتمّ التركيز على ضرورة الفصل بين السلطات وإتاحة المجال لحرية الرأي والتعددية السياسية، كما تمّ أيضاً مناقشة موضوع الدولة وأي دولة نريد الإعلان عنها والمنظمات الشعبية وتأكيد دورها باعتبارها من الركائز الأساسية للمنظمة.

التنفيذ هو المحك:

وأوضح الرفيق أبو علي: بأنه تمّ خلال الحوار وضع الأسس النظرية السليمة حول القضايا الرئيسية التي تم بحثها ولكن التنفيذ العملي يبقى المحك الرئيسي في الحكم على ما تمّ التوصل إليه من اتفاق حول هذه القضايا.

واستعرض محاولات عودته الثلاث منذ عام ٩٦م وفي شهر تموز عام ٩٨م للعودة والثالثة التي نجحت بعودته إلى أرض الوطن.

الشخشير وسعد يرحبان:

وكان في استقبال الرفيق أبو علي لدى زيارته للمجلس الوطني الأخ بلال الشخشير مدير المجلس وعدد من الأعضاء وممثلون عن المؤسسات، وقد رحّب الشخشير بنائب الأمين العام للجبهة مؤكداً أهمية الوحدة الوطنية والحوار وحق العودة للجميع..

كما زار الرفيق أبو علي مصطفى الاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين، ورحّب الأخ شاهر سعد الأمين العام للاتحاد بالرفيق أبو علي واستعرض انجازات وتطلعات الاتحاد خاصة قانون العمل والرغبة بإقرار قانون الانتخاب حسب قاعدة التمثيل النسبي ومشدداً على دور الرفيق أبو علي الوطني كرمز من رموز الثورة.

أكد على تعميق الوحدة الوطنية: الرفيق أبو علي مصطفى يزور طولكرم وعنبتا وقلقيلية:

كرر الرفيق أبو علي مصطفى دعوة الفصائل والمواطنين إلى العمل من أجل تعميق الوحدة الوطنية والتمسك بمنظمة التحرير كإنجاز للشعب الفلسطيني، وشدد على إعادة بناء مؤسسات المنظمة على أسس ديمقراطية، وأضاف: أن لاحق لأحد بأن يفرط في القضايا المصيرية مثل القدس واللاجئين والأرض.

وكان الرفيق أبو علي يتحدث خلال لقاء عقده في كلية خضوري بطولكرم يوم ١٠/١١/٩٩ حضره المحافظ عز الدين الشريف ورئيس لجنة البلدية صابر عارف وعدد من ممثلي المؤسسات الرسمية والشعبية إضافة إلى كوادر وأعضاء من الجبهة الشعبية في المحافظة.

ترحيب:

وأشاد المحافظ الشريف بالقائد أبو علي مصطفى ونضاله عبر السنوات الطويلة وأكد حاجة الوطن إلى كل الشرفاء من أجل استكمال التحرير وإقامة الدولة المستقلة وتحدث خلال اللقاء الذي تولى عرافته عماد قعدان وعزمي فريح مدير مكتب المؤسسات الوطنية وجمال برهم الذي ألقى كلمة باسم الجبهة الشعبية ورحبت الكلمات بعودة الرفيق أبو علي إلى أرض الوطن.

لقاء مع كوادر الجبهة الشعبية:

كما التقى الرفيق أبو علي مصطفى في مقر الاتحاد النسائي كوادر الجبهة الشعبية، وتمّ استعراض العديد من الأمور الداخلية، ثم زار بلدية طولكرم واتحاد النقابات والغرفة التجارية، ثم توجه إلى زيارة أضرحة الشهداء في مقبرة ذنابة والمقبرة الغربية بطولكرم، حيث تمّ وضع الأكاليل وقراءة الفاتحة على أرواحهم الطاهرة، كما زار مقر المحافظة وحضر حفل استقبال أقيم على شرفه.

وفي اليوم التالي زار الرفيق أبو علي مصطفى مدينة قلقيلية حيث التقى محافظ المدينة وممثلي القوى الوطنية وزار بعض المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في المدينة. ثم زار الرفيق أبو علي بلدة عنبتا وكان في استقباله المهندس حمد الله الحمد الله رئيس البلدية وأهالي البلدة وكوادر الجبهة الشعبية وممثلو الهيئات والمؤسسات فيها وألقى المهندس حمد الله كلمة رحّب فيها بنائب الأمين العام للجبهة الشعبية مؤكداً أن عودته تأتي في إطار تصميم شعبنا على مواصلة المشوار والمسيرة حتى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وقدّم له درع البلدية تقديراً له.

ثم ألقى الرفيق أبو علي مصطفى كلمة عبّر فيها عن سعادته لزيارة عنبتا وأكد على أهمية الاستمرار في الحوار وتوسيعه والعمل على تعميق الوحدة الوطنية وأضاف قائلاً: لاسلام مع الاستيطان ولاسلام بدون إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، ولاسلام بدون إطلاق سراح المعتقلين من سجون الاحتلال، وقام الحضور بزيارة أضرحة الشهداء في مقبرة عنبتا حيث وضعت الأكاليل وتليت الفاتحة على أرواحهم، كما زار الرفيق أبو علي مخيمي نورشمس وطولكرم والتقى الفعاليات الشعبية والأهالي واستمع إلى شرح عن أوضاع المخيمات.

الرفيق أبو علي مصطفى يواصل جولته ويزور محافظة الخليل ومخيم الفوار

وقد ذكرت صحيفة «الأيام» أن الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية واصل جولته حيث زار محافظة الخليل يوم ١٩٩٩/١٠/١٦م، حيث التقى مجلس بلدية الخليل ورئيس البلدية المهندس مصطفى النتشة وأعضاء البلدية وعدد من كوادر وقياديي الجبهة الشعبية. وألقى النتشة في بداية اللقاء كلمة رحّب فيها بالمناضل أبو علي مصطفى مشيداً بدوره في معركة النضال والتحرر الوطني، وأطلع النتشة وفد الجبهة الشعبية على آخر المستجدات السياسية في المدينة ومعاناة المواطنين فيها جراء تدابير قوات الاحتلال التعسفية واعتداءات المستوطنين على سكان المدينة القاطنين في مناطق السيطرة الأمنية الإسرائيلية ومخططات الإحتلال الرامية إلى تقسيم الخليل وتهويد البلدة القديمة فيها، ثم تحدث الرفيق أبو علي مشيداً في هذا السياق بجهود بلدية الخليل ودورها في العمل على تحويل المدينة إلى معلم حضاري وفي الحفاظ على تاريخها العربي الإسلامي.

وفي وقت لاحق زار الرفيق أبو علي والوفد المرافق له المستشفى الأهلي في المدينة حيث التقى مدير عام المستشفى الدكتور جهاد بدر كما التقى محافظ الخليل عزيز عمرو وكذلك التقى أعضاء جمعية الهلال الحمر في المحافظة وقدّم عمرو عرضاً عاماً عن واقع المستشفى الأهلي ونشاته، والأقسام الموجودة فيه والخطط التطويرية المستقبلية للمستشفى، من جانبه عبّر الرفيق أبو علي مصطفى عن ارتياحه لهذا الصرح الصحي، مشدداً على ضرورة دعم النهوض بالواقع الصحي.

وخلال زيارته لجامعة الخليل اطلع الرفيق أبو علي على أقسام ومرافق وكليات الجامعة واستمع إلى شرح عن واقع التعليم الجامعي الذي وصلت له جامعة الخليل في ظل الظروف المالية الصعبة التي تواجهها، وبدوره أكد الرفيق أبو علي على أهمية التعليم والثقافة في صراعنا مع العدو وفي مواجهة ثقافة التطبيع.

وفي معرض جولته في محافظة الخليل زار الرفيق أبو علي مصطفى مخيم الفوار، حيث كان

في استقباله حشد غفير من المواطنين وأعضاء وأصدقاء الجبهة الشعبية والتقى في المخيم بممثلي الفعاليات الشعبية والرسمية، كما زار الرفيق أبو علي عدداً من أسر الشهداء والمعتقلين في المخيم مثمناً صمودهم ودورهم النضالي.

ويستقبل في عرابة وفداً من الداخل والجولان المحتل

ذكرت صحيفة «الأيام» أن الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين استقبل في مسقط رأسه بلدة عرابة في محافظة جنين يوم ٩٩/١٠/١٥م، وفداً من داخل الخط الأخضر برئاسة هاشم محاميد عضو الكنيست من القائمة العربية الموحدة رئيس جبهة الوحدة الوطنية ويضم في عضويته ممثلين عن المؤسسات والفعاليات الشعبية في الجولان السوري المحتل الذين قدموا التهاني للرفيق أبو علي لمناسبة عودته إلى أرض الوطن.

ونظمت الجبهة الشعبية وبلدية عرابة احتفالاً على شرف الوفد الضيف افتتح بكلمة رئيس البلدية أنور عز الدين الذي قال: إن عودة نائب الأمين العام للجبهة الشعبية سترفد العمل الوطني والمسيرة النضالية الفلسطينية بطاقات متميزة، ونقل محاميد تهاني الشعب الفلسطيني في الجليل والنقب والمثلث للرفيق أبو علي مصطفى الذي قال عنه أنه قائد مناضل يمنحه شعبه ثقته الكاملة لمواصلة النضال على طريق نيل كامل حقوقه المشروعة، وأكد الشيخ عبد الله القش ممثل وفد الجولان المحتل دعم أهالي الجولان الكامل والمطلق لنضال الشعب الفلسطيني العادل على طريق تحرير الأرض والإنسان، ووجه الرفيق أبو علي مصطفى بدوره التحية إلى أبناء الشعب الفلسطيني خلف الخط الأخضر وأبناء الجولان السوري المحتل على صمودهم وتشبثهم ودفاعهم عن أرضهم وحقوقهم وتمسكهم بهويتهم الوطنية.

زار جامعة بيت لحم والدهيشة وبيت ساحور: الرفيق أبو علي يؤكد التمسك بالأهداف والحرص على منظمة التحرير

ذكرت صحيفة «القدس» أن الرفيق أبو علي مصطفى واصل جولته لمحافظة بيت لحم لليوم الثاني على التوالي، حيث وصل الرفيق أبو علي إلى محافظة بيت لحم يوم ٩٩/١٠/١٨م. قادماً من الخليل حيث كان في استقباله وزير السياحة والآثار المحامي متري أبو عيطة ومحمد راشد الجعبري محافظ بيت لحم وبشارة داود عضو المجلس التشريعي، والعقيد أبو بكر قائد منطقة بيت لحم ومدير عام شرطة السياحة والآثار العقيد أبو علي عايش والعقيد حميد البواب قائد قوات أمن الرئاسة، والعديد من ممثلي المؤسسات الرسمية والفعاليات الوطنية والعشرات من كوادر وأعضاء الجبهة الشعبية في المحافظة.

ثم زار الرفيق أبو علي جامعة بيت لحم والتقى بإدارة الجامعة وهيئتها التدريسية، كما التقى مع الطلبة والفعاليات النقابية والوطنية، وأشاد بدور الجامعة الأكاديمي والوطني.

وبعد ذلك قام بزيارة إلى مخيم الدهيشة، حيث أقيم له استقبال حافل والتقى مع المواطنين وفعاليات المخيم، وأقيم مهرجان جماهيري تولى عرافته رمزي أبو سعدي، وكان أول المتحدثين رئيس بلدية بيت ساحور حنا الأطرش الذي رحّب بالرفيق أبو علي مصطفى ودعا إلى الوقوف كصخرة صامدة أمام السياسات التي يمارسها الاحتلال والمتمثلة بمصادرة الأراضي والاستيطان الأمر الذي يتطلب وحدة وطنية متماسكة، وفي كلمة القوى الوطنية في المدينة تناول جميل جرايسة الوضع الراهن منددأ بالاستيطان الذي يهدد السلام ودعا إلى الإصرار على إطلاق جميع الأسرى، وبعد أن رحّب الأب إبراهيم عياد بالضيف أكد أن الانتفاضة المجيدة أثبتت أن شعبنا حي وعظيم، ثم ألقى جبر الشوملي كلمة الجبهة الشعبية حيث ألقى كلمة مؤثرة في الحضور، ثم تحدث الرفيق أبو علي مصطفى عن الوضع السياسي قائلاً: لايمكن أن يكون هناك سلام بدون أن يمارس الشعب الفلسطيني حقوقه كاملة. إلى ذلك زار الرفيق أبو علي عدداً من عائلات الشهداء والجرحى والتقى العديد من المواطنين. وبعد ذلك توجه إلى بيت ساحور، حيث أقيم مهرجان جماهيري في قاعة الكنيسة الأرثوذكسية بحضور حنا الأطرش رئيس البلدية والأب إبراهيم عياد عضو المجلس الوطني والعديد من ممثلي القوى والفعاليات السياسية والوطنية والشعبية، وتحدث الرفيق أبو علي عن تاريخ النضال الفلسطيني وقال: إن الهدف الأساسي لنا كان وسيبقى حماية منظمة التحرير الفلسطينية والتمسك بالأهداف الوطنية.



أبو علي مصطفى يدعو لنقل ملف القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة

قال الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية: أن المسيرة السياسية الحالية غير متكافئة على الإطلاق وأن إسرائيل تسعى لفرض شروطها لأقصى قدر ممكن، مشيراً إلى أن استمرار المفاوضات على أساس شروط أوسلو وفي ظل لاءات باراك غير مقبولة بالنسبة للجبهة الشعبية، جاء ذلك خلال جولة الرفيق أبو علي في محافظة بيت لحم، وجدد الرفيق أبو علي رفض الجبهة الشعبية المشاركة في مفاوضات الوضع الدائم طالما بقيت على أساس إطار أوسلو وتبعاته، وقال: إن الحل لقضيتنا هو تحويل ملف القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم المتحدة من أجل تطبيق كافة قراراتها المتعلقة بالقضية الفلسطينية، والتي يجب أن تضمن إقامة الدولة الفلسطينية الحرة والمستقلة وعاصمتها القدس الشريف وضمان عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم وديارهم.

تقارير أمنية إسرائيلية تتهم الرفيق أبو علي مصطفى بالدعوة للكفاح المسلح

وفي سياق الحملة الصهيونية المعادية لحقوق شعبنا في تقرير مصيره على تراب وطنه فلسطين، وتنكرها المستمر لطموحات شعبنا في التحرر والاستقلال.. ذكرت صحيفة «معاريف» العبرية في عددها الصادر يوم ١٩/ ٩٩/١٠م، أن الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية دعا نشطاء في مخيم الدهيشة إلى «مواصلة الكفاح المسلح وعدم التنازل...»، وقالت الصحيفة: أن ذلك ورد



في تقرير لأجهزة الأمن الإسرائيلية أرسل إلى مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود باراك، وأضافت: أنه وصلت إلى أجهزة الأمن الإسرائيلية تصريحات وصفتها بالمتطرفة أدلى بها الرفيق أبو علي مصطفى دعا فيها إلى مقاومة الاستيطان...؟!

«الشعبية» و«فدا» يدعوان لتنسيق الجهود في مواجهة الاستيطان

قالت صحيفة «القدس»: أن قيادات من الجبهة الشعبية والاتحاد الوطني الديمقراطي «فدا» أكدوا على ضرورة الحشد الداخلي وإنشاء جبهة داخلية قوية من أجل مواجهة سياسة الاستيطان، كما أكدوا بأنه لامعنى لمفاوضات الحل النهائي إذا استمرت هذه السياسة الاستيطانية التوسعية.

وأكدت هذه القيادات خلال اجتماع ضمّ جميل مجدلاوي عضو المكتب السياسي للجبهة وأعضاء من اللجنة المركزية وجمال زقوت عضو المكتب التنفيذي لـ «فدا» وعدد من أعضاء اللجنة المركزية على أهمية تطوير الجهد الوطني للدفاع عن عروبة القدس عاصمة الدولة الفلسطينية وضمان حق العودة للاجئين وفق قرارات الشرعية الدولية. وأشاد وفد «فدا» بالحوارات التي تمت بين فصائل المنظمة، وشدد على ضرورة أن تشكل دورة المركزي الجديدة نقلة نوعية لمواجهة استحقاقات المرحلة الراهنة.

الجبهة الشعبية تحيي ذكرى استشهاد أبو عكر في مخيم الدهيشة

ذكرت صحيفة «الحياة الجديدة» أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والقوى الوطنية أحيت الذكرى التاسعة لاستشهاد المناضل محمد أبو عكر أحد أبطال الانتفاضة الفلسطينية الكبرى، ووزع شبان ملصقات للشهيد في شوارع مخيم الدهيشة، كما كتبت شعارات تحيي ذكرى الشهيد، حيث أحيا رفاق وأصدقاء الشهيد ذكراه في منزله بمخيم الدهيشة يوم ٩٩/١٠/٢٢م.

زار رام الله والبيرة وجامعة بيرزيت: الرفيق أبو علي يؤكد التمسك بالثوابت الوطنية

قام الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية بزيارة إلى محافظة رام الله والبيرة يوم ٩٩/١٠/٢٠م، حيث استقبله محافظ رام الله مصطفى عيسى وقيادات الجبهة الشعبية وكوادرها وعدد من كبار المسؤولين، ثم قام الرفيق أبو علي بوضع إكليل من الزهور على نصب الشهداء ثم توجه إلى سرية رام الله الأولى حيث أقيم في ساحتها مهرجان جماهيري حاشد، وألقى الرفيق أبو علي كلمة عبّر فيها عن اعتزازه بوجوده بين أهله في فلسطين، وحيّا أرواح الشهداء، وأشاد بنضالات الأسرى وأكد التمسك بالثوابت الوطنية وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس. ثم تحدث صخر حبش عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح» مشيداً بنضالات أبي علي مصطفى وأكد أن كل الانتماءات تذوب أمام عودة كل فلسطيني إلى وطنه، وأن الوحدة الوطنية لن تتحقق إلا عبر حوار وطني شامل تشارك فيه كل القوى الفلسطينية.

وعبّر قيس عبد الكريم عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية عن الفرحة الكبرى بعودة المناضل أبو علي مصطفى، وأن الفرحة لن تكتمل إلا بعودة أربعة ملايين لاجئ إلى فلسطين. أما الشيخ حسن يوسف فرفض سياسة الأمر الواقع ودعا القوى السياسية إلى وضع خطوط حمراء وثوابت وطنية، أما رئيس بلدية البيرة وليد مصطفى دعا في كلمته إلى العمل الجاد لتحقيق أهدافنا الوطنية، وتحدثت المهندسة ناديا حبش فدعت إلى تطبيق حق العودة لجميع الفلسطينيين في الخارج كما رحّب المحافظ عيسى بعودة الرفيق أبو علي وأكد على مواصلة السعي لتحقيق عودة اللاجئين والنازحين وتحرير الأسرى، كذلك زار الرفيق أبو علي جامعة بيرزيت حيث استقبله د. حنا ناصر رئيس الجامعة وقام الرفيق أبو علي بوضع إكليل من الزهور على صرح الشهداء بالجامعة، كما التقى الرفيق أبو علي بعمداء الكليات، وشارك في ندوة بالجامعة، ودعا إلى بناء مجتمع ديمقراطي وتأكيد مفهوم سيادة دولة فلسطين.

خلال احتفال بعودته في جامعة النجاح أبو علي يدعو إلى تعزيز الوحدة الوطنية

دعا الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية إلى رص الصفوف وتعزيز الوحدة الوطنية لمواجهة المرحلة الراهنة بموقف سياسي صلب يتفق عليه الجميع، وجاء ذلك في الكلمة التي ألقاها خلال احتفال نظمه أنصار الجبهة في جامعة النجاح الوطنية بمدينة نابلس وذلك يوم ٩٩/١٠/٢٣م وأكد الرفيق أبو علي في كلمته بأن حقوق شعبنا في الحرية والاستقلال وإقامة الدولة المستقلة لايمكن أن تختزل بواسطة عدة اتفاقيات.

ثم ألقى تيسير نصر الله عضو المجلس الوطني الفلسطيني كلمة بالإنابة عن محافظ نابلس محمود العالول أكد فيها على حق الشعب الفلسطيني في مواصلة النضال حتى استعادة كامل حقوقه الوطنية.

وألقت الأخت ماجدة المصري عضو المجلس الوطني (عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية)، كلمة القوى والفصائل الفلسطينية في محافظة نابلس، حيث رحبت بعودة الرفيق أبو علي إلى أرض الوطن، وأكدت على أهمية الحوار الوطني الفلسطيني الشامل، وفي نهاية المهرجان تحدث الرفيق أبو علي مصطفى حيث ألقى كلمة مطولة أكد فيها أن الأحق بهذا الاحتفاء والتكريم هم الشهداء والجرحى والأسرى والمعذبين والمشردين من أبناء شعبنا العظيم الذين ضحوا في سبيل حرية الوطن واستقلاله. وشدد الرفيق أبو علي على ضرورة أن تبقى البوصلة موجهة على الدوام نحو الاحتلال، باعتبار أن التناقض معه هو تناقض رئيسي، وطالب الرفيق أبو علي بوقف المفاوضات الجارية معتبراً إياها مضيعة للوقت على حساب شعبنا وحقوقه الوطنية خاصة أنها تجري والعدو الصهيوني يمارس كل أشكال القمع والاستيطان والتهويد، بينما المطلوب أن نعري سياسته الزائفة للقول بأنه يفكك المستوطنات بينما هو في الحقيقة يعزز وجود الاستيطان في كل الأراضي الفلسطينية، وأضاف الرفيق أبو علي: إذا كانت ظروف شعبنا اليوم صعبة وميزان القوى مختلاً لصالح العدو، فإن هذا الظرف لن يدوم، فالصراع مستمر وهو مفتوح في كل المجالات ولن يتوقف إلا بتحرير كل الأرض الفلسطينية واستعادة كل الحقوق ■■

المفاوض الفلسطيني بين ضعف الأداء وأصول التفاوض

أبو علي حسن
عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

أوسلو، القاهرة، الخليل، واي ريفر، مذكرة شرم الشيخ، الممر الآمن.. نسق كامل من الأداء التفاوضي الفلسطيني، وخط بياني هابط ارتباطاً بالأهداف والثوابت والنتائج... ربما يتطلب الأمر عودة للتبصر والتمعن فيما يظهره المفاوض الفلسطيني من أداء واتفاقات مع الطرف الإسرائيلي لنرى إن كان هذا المفاوض مفاوضاً بحنكة واقتدار ومرجعيته قد برهنت على حسن أدائها.. أم العكس من ذلك.



ثمة حاجة سياسية وموضوعية للتفاوض بين الدول والحكومات والقوى المتصارعة فقد عرف التاريخ السياسي أنماطاً عديدة من التفاوض منها ما يتعلق بتلافي الحرب بين طرفين ومنها ما يتعلق بتسوية النزاع بعد الحرب وفرض نتائجها على الأرض.. والتفاوض السياسي، والعسكري، والاقتصادي عملية واعية بين طرفين أو أكثر.. بها أخذ وعطاء وفرض وتنازل وذلك في ضوء مستوى الاقتدار والقوة لكل طرف.. ومقياس القوة أو الاقتدار مرتبط بميزان القوى بين طرفين.. وقد يكون قاصراً وحاسماً يدفع الطرف المهزوم والأضعف لقبول شروط المنتصر أو المقتدر. وقد يكون ميزان القوى متأرجح لصالح هذا الطرف أو ذاك مما يجعل من عملية التفاوض عملية استقطاب وتجميع لشروط تحسين ميزان القوى.

والقوة أو الاقتدار لا تقاسان بمستوى طغيان القوة العسكرية والقهرية وحدها إنما تقاس بمستوى عدالة القضية محل النزاع والصراع. وبالوقائع على الأرض، وبالموقف الإقليمي والدولي واتجاهه، وبالموقف الشعبي وميوله، وقبلها جميعاً إرادة الطرف المفاوض ومرجعيته وقيادته السياسية.

وكم من التجارب دلت على فشل بعض المفاوضين على استخدام ميزان القوى بشكل صائب وفاعل بسبب عدم القدرة على توظيف عناصر القوة المتاحة بطريقة أفضل فالسادات فاوض كما لو أنه كان مهزوماً وفرّط بعناصر القوة التي بيديه نتيجة انتصاره بحرب أكتوبر1973، وفرط بمكونات مهمة في ميزان القوى لصالحه.

والعكس صحيح فالفيتناميون فاوضوا وميزان القوى لم يكن لصالحهم، ولكنهم استخدموا ما هو متاح لهم من قوة بأفضل ما يكون الأداء.. وبقدرة تفاوضية واعية.. وبإرادة وتماسك عاليين. وكانت النتائج هزيمة الدولة العظمى..

ومع التفاوض تنشأ عملية استقطاب حادة للرأي العام المحلي والإقليمي والدولي واستقطاب شعبي وإعلامي حيث تبدأ لعبة شد الحبال أو عض الأصابع، وكثيراً ما تستمر العملية التفاوضية والدبابات تقضم الأرض شبراً شبراً، والجيوش تتقدم وتتسابق بكل اتجاه لفرض الأمر الواقع.

وثمة حاجة لاستخدام الجمهور كسلاح مشهر أثناء عملية التفاوض حيث يميل الطرف المفاوض إلى التشدد أحياناً بدعوى الضغط الشعبي مهدداً بوقف التفاوض.

والبعض الآخر يستخدم سلاح المعارضة السياسية كسلاح احتياطي في وجه الطرف الآخر حيث تتجلى حنكة المفاوض وبراعته الدبلوماسية في التلويح بإفساح المجال للمعارضة لتأخذ دوراً مقرراً وأكثر تشدداً في وجه الطرف الآخر الخصم، ويستميلها إلى جانبه في اللحظات الأكثر دقة وحرجاً.

ولعله من نافل القول أن المفاوض يجب أن يتمتع بخبرة عالية في فن التفاوض ودروسه، وبدرجة عالية من الحنكة السياسية والقدرة على طرح الحجج والبراهين والوثائق المقنعة، والتقاط أهداف الطرف الآخر فيما بين السطور، ويعرف متى يخلق أزمة ويلوح بوقف التفاوض، ومتى يتجاوز الأزمة ويستمر بالتفاوض، وكيف يوظف الإعلام لصالحه في اللحظة المناسبة، وكيف يدفع الأمور نحو افضل الصيغ السياسية.

كما تتبدى أهمية أن يكون الفريق المفاوض موحداً ومتناغماً ومسيطراً على الموقف والأهداف المعلنة والثابتة، ومساحة المرونة والحركة التفاوضية واضحة أمامه، ولديه الصلاحيات الكاملة في تقدير الموقف، ووراءه مرجعية سياسية واحدة تمده بالموقف والمعلومات اللازمة، والإسناد المعنوي والسياسي والإعلامي والشعبي.

وقلما تكون العملية التفاوضية عملية سرية وتحت جنح الظلام، وهي في هذه الحالة تفقد الطرفين الكثير من الأسلحة المتاحة، ولا سيما الطرف الأضعف الذي ليس في جعبته إلا سلاح الإرادة وعدالة قضيته ولكنها بين جدران غرف مكانها مجهول وزمانها، ومجهول فيها فريق التفاوض وقضايا التفاوض، ولعل اتفاق أوسلو كان إفرازاً لهكذا عملية تفاوضية سرية.

والمفاوض يجب أن يدرك أهمية وخطورة الإعلام ودوره في خلق رأي عام مؤيد أو غير مؤيد لاسيما في زمن الإعلام المرئي ومحطاته الفضائية، ودوره في صناعة النجوم من ساسة مغمورين ومفاوضين يخلب الإعلام دواخلهم ويحرف مسارهم، وقد يفقد المفاوض بعضاً من توازنه وتماسكه السياسي والمبدئي مما ينشأ لديه من ميل للظهور المناسب وغير المناسب ويقع فريسة التلفزة والنجومية السياسية وأسئلة الصحافة، فيتحول من مفاوض سياسي بارع إلى نجم تلفزيوني كيفما كان الأمر، دون التفات إلى الموقف الشعبي والمناخ العام.

وفي الحال الفلسطيني تصبح المقاربة مهمة بين الأداء التفاوضي الفلسطيني القائم وبين هذه

الشروط والقواعد التفاوضية، حيث تظهر مجموعة من المفارقات التي تؤشر على بؤس العملية التفاوضية القائمة منذ مدريد مروراً بأوسلو وحتى اليوم.. وربما تؤشر على حتمية الوصول إلى نتائج لا تختلف كثيراً عما نحصده اليوم.

وهذا يقودنا إلى إظهار بعض مكونات كفة ميزان القوى الفلسطيني – الإسرائيلي والتي تؤشر على مكامن القوة لدى الطرف الفلسطيني وهي:

1–واقع وجود وحضور الشعب الفلسطيني على أرضه في الضفة والقطاع ومناطق 48 ويمثل الثقل الأساسي في ميزان القوى والذي يشكل الهاجس والهم الاستراتيجي الذي تعيشه إسرائيل.

2 – كيانية م.ت.ف وما تمثله في الداخل والخارج وعربياً ودولياً، حيث تحوز على اعتراف دولي بها يؤشر على أنها كيان مادي ومعنوي للشعب الفلسطيني ولكنها في نفس الوقت تؤشر على النقيض المادي للكيان الصهيوني وهذا مكوّن لا يجب التفريط به أو إخراجه من كفة ميزان القوى.

3–الميثاق الوطني الفلسطيني وما يمثل في الوجدان والضمير الفلسطيني والعربي.

4– ظاهرة الكفاح المسلح في الخارج والداخل رغم محاصرتها وهبوط منسوبها، لكنها كمبدأ تشكل ورقة قوة في يد الطرف الفلسطيني.

5– الانتفاضة الفلسطينية كانت أهم المكونات الفاعلة في الميزان.

6– التمسك بالبعد العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية.

7– قرارات الشرعية الدولية المؤيدة للحقوق الوطنية الفلسطينية.

8– حاجة إسرائيل إلى الاعتراف بها فلسطينياً وعربياً، وحاجتها إلى التفاوض مع الطرف الفلسطيني رغم غطرستها وقوتها.

كيف استخدم الطرف الفلسطيني هذه المكونات كأوراق، وكيف وظفها في خدمة الأهداف المرجوة من التفاوض.؟ وهل حصل على ثمن في مقابل التنازل عن بعضها.؟ وهل الثمن كان مناسباً وعادلاً وبأهمية مكونات القوة. أم انه اخطأ وتهاون في استثمارها وأضاعها من بين يديه، وبات القليل بحوزته وهذا القليل هو المادي والموضوعي في ميزان القوى كحضور ووجود الشعب الفلسطيني على أرضه وهو الصانع الوحيد للصيرورة الموضوعية للصراع والاشتباك التاريخي مع الكيان الصهيوني..

أولاً: بداية لا بد من التأكيد بأن ميزان القوى قبل مدريد وأوسلو كان أفضل حالاً منه اليوم رغم أنه كان مائلاً لصالح إسرائيل.. وكان ممكناً أن ينتج عنه تسوية سياسية أفضل وأكثر عدالة وقبولاً من اتفاق أوسلو وملحقاته، وأن نصل من خلال توظيفه وتحسين الأداء إلى اتفاق في كل الأحوال لا يصل إلى مساوئ ومخاطر ومثالب أوسلو. لكن الطرف الفلسطيني كمفاوض ومرجعية لم يقف ويتأمل ميزان القوى جيداً، ولم يضعه نصب عينيه ولم يعِ مكوناته. وجل ما أدركه أنه يميل لصالح إسرائيل، فراح ينتهج سياسة تفاوضية ارتجالية وفهلوية عيلت منذ البدء على إمالة كفة الميزان لصالح الطرف الآخر أكثر من ذي قبل بادئاً بفك المسار الفلسطيني عن المسارات العربية مما افقده مكوناً هاماً من مكونات ميزان القوى القائم. وانتقل من التفاوض المعلن إلى التفاوض السري فجرد نفسه طواعية من أسلحة فلسطينية وعربية وشرعية دولية في مجابهة الطرف الآخر وحصر نفسه مجرداً بين اربعة جدران مظلمة بدون نصير أو معين.

ثانياً: بدلاً من إبراز دور وأهمية م.ت.ف في كل مراحل التسوية ومساراتها تم إهمالها كمرجعية سياسية ووطنية واستبدلت برموز منتقاة وبسلطة ولدت بطريقة قسرية. وتم التنازل عن ميثاقها مع بدايات التفاوض مما أفقدها مضمونها وجوهرها ووزنها. كما تم بعد ذلك إغراقها بأكثر من (750) عضو مجلس وطني بغرض تعويم وتبهيت دورها وقراراتها.

ثالثاً: النظرة إلى واقع الوجود والحضور الفلسطيني نظرة راهنة وساكنة لا تلحظ الطاقات الكامنة لهذا الوجود، وبالتالي كان هناك افتقاد لرؤية بعيدة النظر لتفعيل الجمهور الفلسطيني لدعم المفاوض الفلسطيني، إنما جرى العمل على تكبيله وتحويله إلى كائن ساكن متلق يعيش حالة من الانتظار والضياع معاً.

رابعاً: في ضوء ذلك لم يستطع المفاوض الفلسطيني أن يستخدم عناصر القوة التي بيديه والمتاحة له بطريقة أفضل، وفاوض منذ البداية كطرف مهزوم بالمطلق ويائس ومحبط ومتسرع من أمره ومكشوف للآخر. فأدخل نفسه في نفق التنازلات منذ البداية، حيث فرط بسلاح الانتفاضة منذ اللحظة الأولى للتفاوض لقاء اتفاق ووعود على الورق. وسلّم بمنطق الطرف الآخر في وصف الانتفاضة والمقاومة بأعمال العنف والإرهاب متعهداً بالوقوف بحزم في مواجهتها.

خامساً: «لقد كنا نفاوض أنفسنا» هذا الوصف لبعض المسؤولين الإسرائيليين كان أكثر دقة للحالة القائمة آنذاك، فلم يكن المفاوض الفلسطيني يتمتع بالخبرة الكافية والمعرفة والحنكة السياسية، ضعيفاً في طرح الحجج والبراهين، وفاقداً للوثائق والمعلومات والمخطوطات اللازمة لعملية التفاوض. وظهر كما لو أنه يتكئ على ما تقدمه إسرائيل من معلومات ووثائق.

ويزداد الأمر مأساوية حينما تتماهى في كثير من الأحيان المرجعية السياسية مع المفاوض السياسي، ويختلط الحابل بالنابل ونكاد لا نميز بين هذا وذاك.

سادساً: في ضوء هذا التماهي لم يُعِر المفاوض الفلسطيني أي اهتمام لدور الخبراء والكفاءات والاختصاصات الفلسطينية والقانونية التي يمكن أن تساهم في تحصين الاتفاقات والصيغ المطروحة من المثالب والمزالق وإعطاء آراء قانونية وجغرافية تتعلق بالأرض والحدود والمياه ارتباطاً بأهداف إسرائيل المضمرة. هذا سلاح رماه المفاوض الفلسطيني جانباً منذ البداية.

سابعاً: لم يكن المفاوض الفلسطيني ممسكاً بالأهداف الواضحة لعملية التفاوض، إذ فاوض بدون وضوح لمساحة المرونة وبدون وضوح للخطوط الحمر التي تمنع الانحدار مما جعله أسير البرغماتية العالية التي لا حدود لها.. فأوقع نفسه في حالة تخبط بين تصريحاته ومواقفه وبين نتائج التفاوض على الورق.

ثامناً: لم يعر المفاوض الفلسطيني أية أهمية للمعارضة الفلسطينية ومواقفها.. حيث تجاهل وجودها كلياً وأسقطها من حسابه كما لو أنها لم تكن يوماً شريكاً في النضال طوال عقود من الزمن.. فكان يريدها أن تضيف اسمها فقط على قائمة شهود الزور لاتفاق أوسلو وما تلاه كما حدث مع فصائل مستولدة أصلاً. وكان شعاره «اصنع أمراً واقعاً.. سيلحق بك الجميع» بصرف النظر عن ماهية الأمر الواقع.

تاسعاً: إذا كانت كامب ديفيد في حينها وما تبعها من تفاوض ونتائج قد شكلت انقلاباً في المفاهيم وفي طريقة التعاطي مع الخصم. إلا أنها رغم كل ذلك أبقت على الحاجز النفسي مع الخصم حتى خلال التفاوض الرسمي مما عطل عملية التطبيع حتى اليوم مع الشعب المصري. في حين المفاوض الفلسطيني أحدث انكساراً نوعياً في التعاطي مع الخصم يطال الجانب السيكولوجي حيث تمادى في تحطيم الحاجز النفسي القائم بين الشعب الفلسطيني والاحتلال بضربات متتالية وسريعة خلقت ذهولاً لدى الرأي العام الفلسطيني والعربي وذلك عبر الأداء السياسي والإعلامي لنجوم سياسية صنعتها شاشات التلفزة والإعلام فأصبحت مسكونة ومسلوبة للاضواء تقول وتصرح بما هو مطلوب وغير مطلوب، ومناسب وغير مناسب.. ولعلها العولمة قد خرقت دواخل هؤلاء.. فأصبح لا فرق بين شعب محتلة أرضه واحتلال، بين عدو وصديق.. وكأن الأمر لا يعدو إلا نزاعاً عابراً بين جارين..!؟

يبقى السؤال الأهم بعد هذه المقاربة بين ما يجب وما تم من أداء فلسطيني خلال السنوات التي مضت. هل يستطيع المفاوض الفلسطيني والمرجعية الفلسطينية بالأساس أن تعيد بناء مكامن القوة من جديد وتتمسك بأوراقها العديدة، وتبدأ بتوظيفها باقتدار في سياق التفاوض مع بدايات مرحلة الحل النهائي..!؟ ■■

الهدف تنشر أسماء الرفاق الأسرى أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذين أطلق سراحهم يوم ١٥/١٠/١٩٩٩م

الرقم	الاســـم	تاريخ الاعتقال	الحكم	العنوان	التنظيم
١	خضر داود ناصر	٨٨/٦/٢١	مؤبد	لبنان	شعبية
٢	سعيد محمد مطر	٨٩/١/٢٦	مؤبد	الشاطئ	شعبية
٣	سمير عبد الحميد دواس	٨٩/٧/٢٢	مؤبد	دير البلح	شعبية
٤	علاء الدين موسى أبو طاحون	١٩٩٥/١٢/٣	٢٠ س	خانيونس	شعبية
٥	محمد علي ذياب	١٩٨٩/٥/٢٨	٢٥س	سوريا	شعبية
٦	نعمان جمعة العايدي	١٩٩٢/٩/٢٥	١٨س	خانيونس	شعبية
٧	محمد عبد اللطيف نجم	١٩٩٣/٣/١٥	١٢س	نابلس	شعبية
٨	زهير عبد الرحمن كروم	١٩٨٨/٦/٢١	مؤبد	لبنان	شعبية
٩	نائل محمد خليل	١٩٨٨/١/٣١	٢٠س	رام الله	شعبية
١٠	محمود رجا الكردي	١٩٨٨/٦/٢١	مؤبد	سوريا	شعبية
١١	أحمد عبد الرحيم الوشحة	١٩٩٥/١/٢٥	٩س	رام الله	شعبية
١٢	موسى عبد الرحيم خميس	١٩٨٨/٤/٤	مؤبد	السودان	شعبية
١٣	منتصر صالح جوابرة	١٩٩٥/١١/١٥	١٠س	نابلس	شعبية
١٤	عبد الرحمن شعيب ناصر	١٩٨٩/٥/١٩	١٦س	رام الله	شعبية
١٥	ماجد خليل محمد الهوبي	٨٩/٨/٢	١٣س	رفح	شعبية
١٦	رمزي سليمان بن سالم ديب	١٩٩٣/١٠/٢٠	٢٠س	الشيخ	شعبية

عرس شعبي في قرية سعسع احتفالاً بتحرر الأسير البطل محمد علي دياب

ما إن تبلغت أسرة الأسير البطل الرفيق محمد علي دياب في قرية سعسع على تخوم الجولان المحتل بخبر إطلاق سراح ابنهم حتى تحول منزلهم إلى ملتقى للمهنئين من الجيران والأقارب وأصدقاء الرفيق ورفاقه الذين جاؤوا من تجمعات فلسطينية مختلفة، ولتتحول المناسبة إلى عرس شعبي حيث عقدت في المساء حلقات الدبكة على مدى أيام عدة..

وفي يوم ١٩/١٠/١٩٩٩ توجه وفد كبير من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى قرية سعسع تقدمهم الرفيقان أبو أحمد فؤاد وعمر قطيش عضوا المكتب السياسي للجبهة والرفيق إيهاب يونس عضو اللجنة المركزية للجبهة وعدد كبير من أعضاء وكوادر الجبهة في دمشق حيث هنؤوا أهل الأسير المحرر وشاركوهم فرحتهم.

ثم شكر الأخ عطية محمد من أهل الأسير الحاضرين على مشاركتهم فرحتهم وقال: «اسمحوا لنا نحن أسرة الأسير المحرر محمد علي دياب أن نرفع لكم ومن خلالكم أسمى آيات المحبة والإخلاص والوفاء للرفاق في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قيادة وكوادر وأعضاء وللرفيق العزيز حكيم فلسطين الدكتور جورج حبش وللرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام المتواجد الآن في قلب فلسطين الحبيبة».. وأضاف: «إننا على ثقة تامة بأن الجبهة الشعبية كانت ومازالت أمينة على أهداف شعبنا مخلصة وصادقة في سياساتها وستبقى أملنا. وسنبقى لها أوفياء». ثم حيا كل الأسرى المحررين وأهلهم. والأسرى الذين مازالوا صامدين في زنازين العدو الصهيوني.

ثم رد الرفيق أبو هاني عضو قيادة فرع سوريا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بكلمة هنأ فيها أهل الأسير وأقاربه بتحرر ابنهم ونقل لهم تحيات وتهاني الجبهة الشعبية وأمينها العام الدكتور جورج حبش وقال أن فرحة شعبنا لن تكتمل إلا بتحرير كل الأسرى المعتقلين في سجون العدو الصهيوني. وأكد أن الجبهة الشعبية ستظل وفية لأهداف شعبنا، متمسكة بالثوابت الوطنية ولن تسلم أو تفرط وعاهد الموجودين بأن الجبهة ستستمر بالنضال حتى تحقيق أهداف شعبنا وفي مقدمتها عودة اللاجئين وإقامة الدولة الفلسطينية على كامل تراب فلسطين وعاصمتها القدس. ثم وجّه الرفيق أبو هاني تحية إكبار ومحبة لسوريا شعباً وقيادة وعلى رأسها الرفيق المناضل حافظ الأسد، على ما بذلته في سبيل فلسطين ومن أجل شعبها، سوريا التي تفاوض بكبرياء متمسكة بثوابتها الوطنية والقومية دون تنازل أو تفريط.

تجمعات شعبنا تحيي أعراس الحرية

حين تختلط الزغاريد بالضحكات والدموع...

خليل جنداوي

لاشك أن الحركة الفلسطينية الأسيرة في سجون العدو الصهيوني قد بلغت درجة عالية من التطور، فبفضل نضالات أسرانا الأبطال على امتداد العقود الماضية وتضامن جماهير شعبنا معهم، تمكنوا من انتزاع حقوق كثيرة حاول سجانوهم حرمانهم منها.. وهكذا تحولت السجون والمعتقلات من أمكنة مظلمة أراد العدو منها قتل روح شعبنا، إلى بؤر ثورية بكل معنى الكلمة، لاتربي المنضوين فيها على الصمود وحب الوطن فقط، بل وتدفعهم لتعلم مهارات عديدة والاستفادة قدر الامكان من الوقت الذي أراده العدو أن يكون ضائعاً. فالذي يعرف شيئاً أحسن من غيره يعلمه للآخرين، وهكذا أصبحت السجون والمعتقلات مدارس وجامعات حقيقية، كل زاوية فيها فصل دراسي.. واحدة للتثقيف الايديولوجي، وأخرى لدراسة تاريخ فلسطين والوطن العربي.. وثالثة لتعلم الاقتصاد أو الفلسفة أو غيرها من العلوم الإنسانية.. ورابعة لتعلم اللغات الأجنبية..

أرادها العدو قبوراً تسودها العتمة والمرض والجهل، فحولها أبطالنا إلى ساحات مضيئة تبث النور وروح المقاومة إلى كل فلسطين..

من المؤكد أن غالبية الأسرى تعلموا أشياء كثيرة في سجونهم، ورغم أهمية هذا الجانب إلا أنه في النهاية لايغير كثيراً من صعوبة الوضع الذي يعيشونه، فالحياة في السجن رغم كل النشاطات التي تقام هناك، تظل مملة روتينية تسير بإيقاع بطيء تحكمه رتابة قاتلة.. ويشعر الأسرى كما قال أحدهم بأنهم «شهداء مع وقف التنفيذ..» وطبعاً يزداد هذا الإحساس حدة حين تكون أحكامهم بالسجن طويلة. لذلك تصبح الحرية بالنسبة لهم ليست فقط خروجاً جديداً للحياة والتحاقاً بركبها، بل ولادة أخرى ربما كانت أكثر جمالاً وروعة حتى من الولادة الأولى، لأنها قبل كل شيء تعني انعتاقاً من واقع قاسي يحاول العدو أن يتحكم بكل تفاصيله.. هذه الحرية تصبح الأمل الذي من أجله يواصلون الحياة والصمود..

يوم الخامس عشر من تشرين أول الجاري كان شعبنا الفلسطيني على امتداد تواجده في الداخل والشتات على موعد مع خروج ١٥١ بطلاً من سجون الاحتلال، ولاشك أن هؤلاء المحررين شعروا وهم يتنفسون أولى نسائم الحرية بأحاسيس مختلفة، وليس هم فقط بل ومستقبلوهم أيضاً، فالزغاريد والأغاني ورصاص الفرح ترافق مع البكاء والصراخ، والفرحة بلقاء الأهل والأصدقاء لم تنسهم حزنهم لفراق الرفاق والأخوة الذين تركوهم وراءهم خلف القضبان.

وكما هو معروف فإن هذه الدفعة من المحررين تضمنت ٤٣ بطلاً ممن يطلقون عليهم اسم «أسرى الدوريات» أي الذين وقعوا في الأسر بعد عمليات استشهادية نفذت من جنوب لبنان، وهذا يعني أن عشرات الأسر الفلسطينية والعربية لم تستطع أن تنام في تلك الليلة، فكلهم يريد أن يطمئن إن كان ابنهم أو ابوهم أو أخوهم أو قريبهم قد خرج للحرية مع من خرجوا أم مازال في الأسر.. وما إن يتأكد خبر تحرر أحدهم، حتى تتفجر الفرحة في منزل عائلته وتتعالى الزغاريد فيسرع الجيران والأقارب والرفاق ليتبعهم جموع المهنئين لمشاركة الأهل بهجتهم التي انتظروها طويلاً. ولتتحول الساحة أمام البيت في المساء إلى ما يشبه العرس الحقيقي.. فرق موسيقية تعزف وتغني لفلسطين وللحرية والعودة.. وكراسي كثيرة لاتكاد تكفي للقادمين وفي الوسط تعقد حلقات الدبكة..

بضعة أيام من الفرح عاشتها عائلات فلسطينية وهي تحتفل بتحرر أبنائها، في الضفة وغزة، في مخيم اليرموك والسبينة والست زينب وفي مخيمات لبنان والأردن.. من بينهم عائلة العم أبو محمد والد المحرر محمود الكردي الذي وقع في الأسر يوم ١٩٨٨/٦/٢١ إثر عملية بطولية قامت بها مجموعة تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هاجمت مستعمرة «كفار يوفال»، كانت فرحة الأهل لاتوصف وخصوصاً يوم الاثنين ١٠/١٨ حين جاء الرفيق جورج حبش بنفسه إلى عرسهم ليشاركهم احتفالهم، يرافقه الرفاق أبو أحمد فؤاد وماهر الطاهر وعمر قطيش أعضاء المكتب السياسي للجبهة وعدد كبير من أعضاء وكوادر الجبهة، وليتجمع هناك المئات من جماهير شعبنا الذين أسعدهم وجود الحكيم بينهم في مخيم اليرموك.. وعندما ألحوا عليه أن يخطب في الحضور وجه د. جورج حبش كلمة قصيرة دعا فيها جماهير شعبنا للنضال بدون كلل حتى تحقيق العودة الكاملة وأكد أن الجبهة الشعبية ستظل أمينة على مبادئها وأهداف شعبنا. وعندما كان الحكيم يهم بالمغادرة وإذا بمحمود وبعض رفاقه يتصلون من غزة، فتحدثوا مع الحكيم ونقلوا إليه تحيات المحررين ومحبتهم، وتحيات رفاقهم الذين مازالوا في الأسر، وتمنوا له دوام الصحة وعاهدوه على الاستمرار بالنضال حتى تحقيق أهداف شعبنا.

في اليوم التالي كانت قرية سعسع الواقعة قرب الجولان المحتل على موعد مع وفد كبير من قيادة وكوادر وأعضاء الجبهة الشعبية الذين ذهبوا لمنزل المحرر محمد علي دياب.. ولنجد هناك عرساً شعبياً آخر حيث تجمع غالبية أبناء القرية في الساحة أمام منزل أبو محمد ليشاركوهم فرحتهم بتحرر ابنهم البطل الذي وقع في الأسر يوم ١٩٨٩/٥/٢٨ بعد عملية بطولية استهدفت مستعمرة المطلة في الجليل الأعلى في شمال فلسطين قامت بها مجموعة مشتركة تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وجبهة التحرر الفلسطينية.

كل حكايات عائلات الأسرى المحررين تكاد تكون متشابهة إلى درجة التطابق وإن اختلفت بعض تفاصيلها، فمشاعرهم في كل الأحوال واحدة، حيث يختلط الفرح بالإعتزاز بالشوق الجارف لرؤية أبنائهم بأسرع ما يمكن وأخذهم في أحضانهم بقوة.. وجميعهم وجه تحياته لأهالي الأسرى الذين لم يتحرروا مع هذه الدفعة، ودعا لهم من قلبه أن تنتهي معاناتهم قريباً ويلتقوا أحبتهم.

ونكتشف حين نتحدث مع عائلات المحررين أمراً يكاد يكون ظاهرة عامة، فمأساة هذه الأسرة أو تلك دفعتهم للإلتقاء مع عائلات أسرى آخرين لتُنسج علاقات اجتماعية





لقطات من احتفال عائلة المحرر محمود الكردي في مخيم اليرموك

وطيدة.. ولترى أفراد هذه الأسرة أو تلك يتعاتبون فيما بينهم ودونما أي تصنع لأن أحداً لم يذكِّر بضرورة الذهاب لعائلة ذاك الأسير التي زارتهم منذ فترة، أو أسرة أخرى لم يروها منذ زمن، ويبدون مخاوفهم من أن يكون أحدهم وخصوصاً الأب أو الأم مريضاً..

حين سألنا أبو محمد دياب عما أحس به عندما سمع بخبر تحرر ابنه، أجاب طبعاً فرحت لكن في داخلي كنت غير مصدق، لم أتصور أن إسرائيل ستفرج عن أسرى من الدول العربية، ولم أنسَ أن سياسة عدونا تقوم على الكذب وعدم تنفيذ التعهدات التي قطعوها على أنفسهم كذلك لم يغب عن ذهني المفاوضات السابقة حول موضوع الأسرى حيث التزموا بإخراج ٧٠٠ أسير ثم أخذ الرقم ينخفض حتى وصل إلى ٣٥٠، وتوجد دفعة أفرجوا عنها أيام نتنياهو تبين أن من فيها هم من المحكومين الجنائيين وليسوا من الأسرى.

والدة محمد تقول: لا، أنا صدقت مباشرة حين بشرونا من مخيم خان الشيح بخبر إطلاق سراح ابني، قلبي كان يقول لي أن محمد مبسوط، وعندما تحدث معنا على التليفون من غزة أخذنا نبكي جميعاً نحن وهو وربما رفاقه بجانبه..

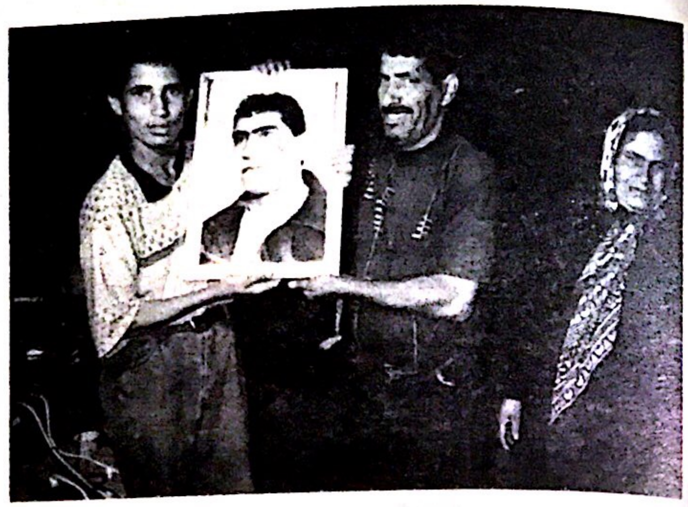
محمد دياب عمره ٢٨ سنة وهو بكر أهله، له عشرة من الأخوة والأخوات، أكثر من نصفهم لايتذكره لأنهم إما كانوا صغاراً جداً حين أسر أو ولدوا بعد ذلك.. حزن أمه على غيابه لايوصف وفرحتها الحالية لم تستطع أن تحجب تماماً ذلك الألم الدفين الذي رافقها بالتأكيد طوال تلك السنين.. تتذكر يوم علمت بأسره فتلمع الدموع في عينيها وكأن ذلك حدث بالأمس فقط، وتقول كأنهم انتزعوا مني قلبي أو جزءاً من روحي، لم يصبّرني إلا إيماني بالله وإحساسي بمأساتنا كفلسطينيين.. كان يجب أن يبرز من بيننا من يتصدى لهذا الواقع ويحاول تغييره، فإن لم يكن ابني أو ابن غيري فمن سيقاوم وكيف سنعود إلى بلادنا وقريتنا قرب طبرية...

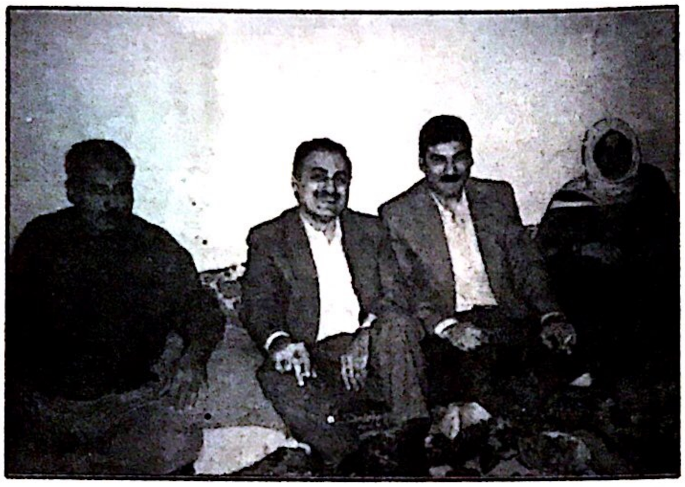
حين سألتهم أن يطلعوني على بعض رسائل محمد، أخرج الوالد رسالة من جيبه وقال: ان الرفاق أحضروها للتو ويبدو أنها وصلت عبر الفاكس من غزة، قرأتها وقلت لهم محمد يخبركم أنه سيتأخر في عودته لطرفكم بضعة أشهر إلى حين إنهاء الإجراءات اللازمة كنت أعتقد أنهم اطلعوا على مضمونها قبل أن يعطوني إياها.. لكن ما إن تفوهت بهذه العبارة حتى كادت أمه تفقد وعيها، كانت تتمنى أن يأتيها ابنها خلال أيام لتكتمل فرحتها، وحين اكتشفت أن هذه الفترة ستطول ربما لأشهر، بدا الأمر للحظات بالنسبة لها وكأنهم أعادوه للاسر مرة أخرى. ولطمأنتها جاء الرفيق أبو أحمد فؤاد الذي حدثهم طويلاً عن هذه الإجراءات، وضرورة حصول كل المحررين على رقم وطني حتى يظلوا شوكة في حلق الاحتلال.. بعدها هدأت قليلاً وإن كانت الغصة لم تفارقها طوال السهرة، ولكي أغير هذا الجو طلبت منها أن تحدثني عن أم محمد بالتبني وكما هو معروف فإن كل أسير في سجون الاحتلال.. أهله ليسوا في الوطن، تتبناه أسرة فلسطينية هناك وتعامله كإبنها تماماً.. أم محمد بالتبني هي أم الرفيق محمود أبو قاسمية من مخيم النصيرات وهو كان معه في السجن لكن خرج قبله. وتصادف يوم تحرر محمد من الأسر مع حفل زفاف أخيه محمود، فتحولت فرحة آل أبو قاسمية إلى فرحتين.. تقول أم محمد اتصلوا بنا في ذلك اليوم من غزة وباركت لهذه المرأة العظيمة عرس ابنها وأوصيتها على محمد فطمأنتني وقالت إنه في الحفظ والصون ولن تسمح له أن ينتقل من حضنها إلا إلى أحضاني.

أحمد أخو الأسير وعبدو ابن عمه وأقاربه الأخرون حمّلونا أمانة أن نوصل تحياتهم لكل المحررين، ولكل الأسرى الذين مازالوا صامدين في زنازينهم، ولقيادة الجبهة التي شاركتهم فرحتهم وللرفيق جورج حبش ضمير الثورة والرفيق أبو علي مصطفى الذي تحتفل كل فلسطين بعودته لأرض الوطن ولشعبنا الفلسطيني في كل أماكن تواجده.. وهنا تدخل أبو محمد الذي اكد على ضرورة الاستمرار بالنضال حتى استعادة حقوقنا السليبة، ثم طلب منا أن نوصل تحياته للشعب السوري الشقيق ولقائده الرئيس حافظ الأسد.

بعد أيام قليلة توجهت مرة أخرى لمنزل عائلة العم أبو محمد الكردي، ولأنني لم أكن أعرف أحداً منهم سابقاً ألححت على الصديق علي جمعة أن يصحبني حيث قدّرت أن وجوده معي سيكون مفيداً، فعدا عن معرفته القوية بهم كمحرر سابق، فإنه يستطيع بحكم إطلاعه ولو قليلاً على ظروف عملنا أن يذكرهم بأشياء قد تبدو عديمة القيمة لكنها قد تعني الكثير لي. وفعلاً تبين أن علاقتهم به أقوى مما اعتقدت، حيث أخذوا يسألونه عن عائلته ولماذا لم يأتوا للزيارة منذ مدة.. ثم بدأت الأسرة بالتجمع، أخوة محمود: وليد وياسر ونضال وأحمد وعمه أبو جهاد وخالته أم جهاد وخاله رياض الذي يقاربه بالعمر ويقول: محمود صديقي قبل أن يكون ابن أختي، ولقد أطلقت على ابني الأول اسم محمود تيمناً ببطلنا.. ثم جاءت الخالة أم محمود ورحبت بي وبعلي.. وبعد فترة حضر الصديق أبو العبد عصام وكنت أعرف أنه رفيق سلاح لمحمود وتبين أيضاً أنه من الأصدقاء الذين زاروا أهله باستمرار..

سألنا أم محمد عن محمود فحمدت الله على حريته ودعت له بالتوفيق والرضى ثم دعت لكل الأسرى، بعدها استفسرنا عن شعورها لحظة سماعها بتحرر ابنها، فاجمع الحاضرون أن حالة الذهول التي أصابتهم جعلتهم يتمزقون بين التصديق وعدمه، واستمر هذا الوضع حتى اللحظة التي تحدث فيها محمود معهم من غزة، تقول أم محمد: كان





لقطات من احتفال عائلة المحرر محمد علي دياب في قرية سعسع

منظراً غير معقول، الكل في البيت يضحك ويبكي في نفس الوقت وتتذكر حالتها فتقول: كنت لا أعرف ماذا يجب أن أفعل بالضبط. السماعة في يدي وأريد أن أحدثه وأطمئن عليه، ثم أريد أن أزغرد وأهاهي، وإذا ضحكاتي تختلط بدموعي ولا أفعل أو أقول شيئاً..

ثم سألنا أم محمود إن كانت غير سعيدة أن ابنها سيتأخر في عودته إليها فقالت: سعادتي الآن لاحدود لها. أتمنى من الله لكل أم ابن غائب أو أسير أن يخلصه لها وتشعر بما أشعر به.. يتأخر محمود قدر ما يريد، المهم أنني اطمأنيت عليه أنه خرج من تحت نير السجن إلى الحرية. وهو الآن في وطنه وبين أهله، يكفي أنه الآن يرى فلسطين.. وأيضاً هو عند أمه الثانية.

وهنا طلبنا أن تحدّثنا أكثر عن أم محمود الثانية (أم نبيل الشرافي) وإذا ما كانت تغار منها، وخصوصاً بعد المقال الذي نشرته صحيفة «الحياة» مؤخراً، فقالت كيف أغار منها، فهي أمه أيضاً، أمه منذ ١١ سنة، ثم دقت على صدرها وقالت والله لا أعرف كيف أكافأ هذه المرأة العظيمة، تحدثت معنا على التلفون مرات عديدة من غزة، ومن الأردن عندما كانت في الحج، وزوجها وأولادها هاتفونا وفي كل مرة كانوا يطمئنونا على محمود ويطيّبون خواطرنا.. ثم أضافت والله شعبنا في الأرض المحتلة أحسن منا ولديه حنان أكثر منا، الأصالة موجودة عندهم.. وأخبرتنا كيف أن أصدقاء محمود في الأسر كانوا يراسلوننا وعندما كان أحدهم يخرج من السجن كان يتصل بنا مرات عديدة: تلقينا اتصالات من القدس وبيت ساحور وغزة.. وهنا أخبرنا علي أن تقليد المراسلة هذا متعارف عليه في السجون، كل أسير يراسل أهل رفاقه ويتعرف عليهم كما يراسل أهله.. وأضاف علي: كانت الأمهات وقت الزيارة يتشاجرن فيما بينهن عن من له الأحقية بزيارتنا نحن الذين أهلنا بعيدون، كن يتركن أبناءهن ويأتين لعندنا. ونحن نرجوهن يا خالتي اذهبي لعند ابنك، فوقت الزيارة سينتهي، فيرد أغلبهن: لا... يجب أن أراك أولاً، ابني أستطيع أن أراه في كل وقت..

حين سألنا الموجودين عن مشاعرهم حين علموا بخبر أسر محمود، اكتشفنا أن أمه ربما حتى تلك اللحظة لم تكن تعرف أنه حكم بالسجن المؤبد، بل صدقتهم حين قالوا لها أن حكمه لايتجاوز الـ ١٥ عاماً.. تتذكر تلك الأيام وتقول: الله لايذيق تلك اللوعة لأحد، حزنت وفقدت وعيي ثم مرضت.. ثلاثة أشهر لا أنام الليل، وعندما أخبروني أنهم حكموه ١٥ سنة قلت وهل هذه قليلة، من سيصبر ١٥ سنة؟ ثم تذكروا زيارته الأخيرة حين جاءهم قبل العملية، كانت زيارة وداعية لأن عمليته الاستشهادية على ما يبدو تحددت بعد بضعة أيام.. فقط بعد أسره عرفوا معنى الكثير من تصرفاته، حيث كان كثير الضحك، كثير التأمل، ينظر للجميع بغرابة.. أخوه وليد كان أكثرهم قرباً منه وتفهماً له، فوليد كان يوماً في صفوف الجبهة الشعبية وقاتل في جهازها العسكري وحُوصر في بيروت عام ١٩٨٢.. يتذكر تلك الأيام فيقول طلبت منه أن يصارحني إن كان سيذهب في عملية، كنت سأتفهمه ولن أمنعه من أداء شيء هو مقتنع به، في داخلي كنت أشعر أنه ربما لن يعيش طويلاً، لذلك كنت أحاول الاقتراب منه قدر الإمكان، بعد العملية تبلغنا في البداية أنه استشهد، وكان فعلاً قد أصيب بجروح خطرة، قلقنا كثيراً عليه، الوالد تأثر جداً، لكنه لم يفقد صلابته وظل كما السابق يعلمنا على حب فلسطين ووجوب التضحية في سبيلها.. وهنا اكتشفنا أن أبو جهاد عم محمود كان أيضاً مناضلاً قديماً في صفوف حركة القوميين العرب.. هذا التراث الكفاحي المتأصل في الأسرة كان يدعم محمود في خياراته، ويجعل الجميع فخورين بما قام به.

ويضيف وليد: محمود ذهب في عملية استشهادية بوعي كامل، ليست بتأثير ضغط أو زعل من الأهل، وهذا الأمر لو لم يفعله هو لكنت أنا فعلته أو أحد آخر من أخوتي، فإن هذا تقاعس عن الكفاح وذاك أيضاً، فلن يتغير واقعنا الصعب وهذا معناه بقاؤنا في الشتات فترة أطول رغم أننا جميعاً نريد العودة للوطن..

في الختام طلبت منا الخالة أم محمد أن نوصل سلامها لأم نبيل الشرافي وأم عزيز وأم سليم الجعبة في الوطن، وتمنياتها لكل الأسرى أن يتحرروا قريباً.. ياسر حملنا سلامه للمحرر سليم الجعبة صديقه بالمراسلة. نضال أيضاً أهدى سلامه لكل المحررين وعائلاتهم. أما وليد فتمنى لشعبنا أياماً سعيدة أخرى، لينتقل من نصر صغير يتمثل بتحرر بعض الأسرى إلى انتصارات أكثر ثم وجه التحية للحكيم «الذي له في قلبي محبة خاصة»، وهنأه بخروج الأسرى «فهم أولاد الحكيم أيضاً» ووجه تحياته لقيادة الجبهة وكوادرها وأعضائها وجماهير شعبنا في مخيم اليرموك وكل من شاركهم فرحتهم. وبعدها وجه التحية والشكر لشعبنا في الداخل قائلاً: «اللسان يعجز عن شكرهم». وختم حديثه بالقول: في النهاية لن يصح إلا الصحيح، شعبنا عظيم وعطاءاته لاحدود لها، والوضع الحالي لايمكن أن يستمر طويلاً، الزمن يعمل لصالحنا لكن يجب أن نناضل ونستمر في الكفاح مهما تكن الظروف حتى تحقيق أهداف شعبنا ■■

ملاحظة: أثناء الحديث أعطانا الصديق وليد الكردي رسماً لابنه حسام الذي لايتجاوز السبعة أعوام ورجانا أن ننشرها في «الهدف»، فاعتذرت من ذلك لضيق المجال، وعندما ألح وعدته أن نجد حلاً. الورقة تبدأ بعبارة تقول: «للقدس سلام آتٍ». وتحتها علم فلسطين، وفي الأسفل مستطيل على هيئة يافطة مكتوب عليها «الأسير البطل محمود الكردي»، وبجانبها قلب، ثم يافطة أخرى تقول: «جماهير اليرموك ترحب بالقائد جورج حبش» ثم علم فلسطين صغير..

لقاءات مع الأسرى العرب في السجون الإسرائيلية*

هل يمكن أن يكبر شاب ويكتشف أن له أمين؟ هل الأم هي التي تُنجب فقط، أم أن هناك أماً أخرى غير التي أنجبت وهل حنان امرأة ما وعطفها على شاب ما كفيل بأن يخلق عاطفة «الأمومة» بينهما على رغم أنها ليست أمه، وهو ليس ولدها؟

نعم. ذلك أن أم نبيل فتحت أبواب حجرات قلبها على مصراعيها، ليدخل «فهد» و«يحتل» مكانه إلى جوار «أخوته» و«أخواته» الأحد عشر.

يعجز لسان فهد عن التعبير عن حنان أم نبيل، التي منحته إياه خلال أحد عشر عاماً، لدرجة عوضته عن حنان أمه، ويقول: «عوضتني أمي، أم نبيل، عن كل شيء، لم أشعر يوماً ما أنها ليست أمي، وذلك بفضل ما قامت به ومراعاتها لي وحرصها على أن تشعرني دوماً أنها أمي».

كان محمود رجا خليل الكردي (٣١ عاماً) الفلسطيني الذي لجأت أسرته إلى مخيم اليرموك في سورية عام ١٩٤٨ إثر نكبة فلسطين شاباً في مقتبل العمر عندما اعتقلته قوات الاحتلال الإسرائيلي إثر عملية عسكرية استهدفت مستوطنة (كفار يوفال) قرب بلدة المطلة شمال فلسطين في الحادي والعشرين من حزيران (يونيو) عام ١٩٨٨.

ولايستطيع علي عباس فرحات البياتي (٤٤ عاماً) أن ينسى «أفضال» أخته أم هشام عليه. ولعل قارئاً يقطن حي العامرية في بغداد، الشهير بشهدائه الذين سقطوا خلال حرب الخليج الثانية، يقول: «لايوجد لعلي أخت اسمها أم هشام».

يقول علي: «فعلاً، فأم هشام هذه هي زوجة رفيق دربي وسجني كايد ناجي الرجبي (٥٥ عاماً) من مدينة القدس المحتلة».

تعانق البياتي والرجبي، وتعانق سمير قنطار وجبر وشاح، وتعانق السواركة والخليفة المبروك، وموسى خميس.. فتعانقت عواصم العرب بغداد، والقدس، وبيروت، والقاهرة، وطرابلس والخرطوم. ويقول البياتي: «الدم العربي اختلط وتجانس ولم تعد تعرف دم العراقي، من اللبناني، من المصري. كلنا دم واحد وشعب واحد ووطن واحد لم يفرقه سوى الاستعمار، الذي وضع الحدود المصطنعة».

هاتان قصّتان من بين عشرات القصص، التي استمعنا إليها من عيون الأسرى والمحررين الذين أفرج عنهم ضمن الدفعة الأخيرة بموجب اتفاق شرم الشيخ.

لم يتردد الشاب العراقي علي لحظة واحدة في المشاركة في «تحرير فلسطين» و«لو بشيء بسيط، لمساندة الشعب العربي الفلسطيني».

كان البياتي، رغم صغر سنه، على قناعة تامة بأنه يجب أن ينتمي للثورة الفلسطينية وأن يشارك في عملية عسكرية، ربما يستشهد فيها. توجه بداية إلى حركة «فتح» وانتمى لجبهة التحرير العربية، وانتظر سنوات حتى تمت الموافقة على «رغبته» بالمشاركة في عملية استهدفت أخذ رهائن للإفراج عن أسرى ومعتقلين فلسطينيين، وعرب فوقع بدوره في الأسر.

أما محمود (فهد) فكان يتمنى لو استشهد فوق تراب فلسطين. ومراراً قال لوالدته «كبّري» صورتي حتى تنشر عندما أستشهد من خلال ملصق كبير. وألح على والدته وهو دون الثانية عشرة على الذهاب إلى لبنان، ليقاتل إلى جانب الفدائيين، وطالبته أمه قبل تلبية رغبته هذه بأن يكمل دراسة المرحلة الابتدائية، فأنهاها فطالبته بإنهاء المرحلة الإعدادية، وهكذا حتى سئم «مماطلة» أمه فخرج يوماً قاصداً بيروت، فكان التيه حليفه وعاد بعد عدة أيام، وكرر محاولته بمساعدة زوجة أخيه ونجح في الوصول إلى بيروت هذه المرة.

كان الحنين دافعاً قوياً يحرك مشاعر الفدائيين نحو فلسطين، وكانوا يتحرقون شوقاً لدخول وطنهم والدفاع عنه وطرد المغتصبين، وها هو «فهد» ورفاقه الثلاثة يحثون الخطى، ويصلون الليل بالنهار أربعة أيام متتالية، إلى أن وصلوا إلى هدفهم في شمال فلسطين، منذ أن ودعتهم القيادة في البقاع اللبناني.

أما البياتي ومجموعته المكونة من أربعة أفراد ينتمون إلى أربعة فصائل فلسطينية فاستطاعوا تخطي الحواجز البرية والبحرية وحواجز سعد حداد آنذاك، والحواجز الإسرائيلية، ليشتبكوا وهم في البحر مع القوات البحرية الإسرائيلية، فيستشهد اثنان، ويقع في الأسر الاثنان الآخران، أحدهما البياتي نفسه.

يقول البياتي: «كان مساء يوم ٧٩/١١/١٨، لم يكن هدفنا القتل، إذ كان هدف العملية الدخول إلى مدرسة في إحدى المستوطنات شمال فلسطين، واحتجاز من فيها كرهائن، حتى يتم الإفراج عن الأسرى والمعتقلين».

والحال نفسه ينطبق على فهد ورفاقه الذين قرروا القيام بعملية لدعم صمود جنرالات الحجارة في فترة الانتفاضة، بعد نحو ستة أشهر على انطلاقها. فقبل أحد عشر عاماً، وتحديداً في ٦/٢١/ ٨٨ اعتقل فهد ورفاقه الثلاثة في أعقاب الاشتباك مع دورية اسرائيلية في شمال فلسطين دام ثلاث ساعات. وبعد تلك السنين يعود فهد إلى مخيم جباليا، مهد الثورة، وشرارة الانتفاضة ليجد أماً



المحرر محمود الكردي مع والدته بالتبني ام نبيل الشرافي



محمود الكردي محاطاً باسرته في غزة

أخرى، غير التي أنجبته، وقد سهرت الليالي حزناً عليه عندما كان يمرض، وكانت هي تمرض إذا منعها السجان من زيارته. والآن لايستطيع فهد أن يخرج من المنزل إلا بشرط أن يعود في المساء، لأن أمه، أم نبيل لاتنام تلك الليلة إذا لم يعد، وهذا ما حدث عندما أخذه رفاق السجن إلى مخيم رفح ولم يعد في تلك الليلة، فأرسلت أخوته للبحث عنه وعادوا عند الفجر من دونه فوجدوها في انتظاره، لم تُغمض عينيها للحظة، حتى أشرقت الشمس، ليعود الأبناء للبحث عن أخيهم والعودة به سالماً إلى أمه.

يتوسل إلينا البياتي أن نتدخل لدى أمه أم جبر وشاح، التي يسميها أم الأسرى، وتسميها «الحياة» «وزيرة شؤون أهالي الأسرى»، «لإطلاق سراحه» يقول البياتي: «منذ خرجت من الأسر أخذتني أمي أم الأسرى، ومازلت عندها في البيت. ورغم أن ابنها جبر خرج في الدفعة السابقة (في أيلول/سبتمبر)، إلا أنها رفضت أن تطلق سراحي وأن أذهب إلى بيت آخر، رغم أن كثيرين يطلبون مني أن أبيت في منازلهم، وأن يستضيفوني لديهم، وهي ترفض ذلك بإصرار.. هذا مع ترحيبي الشديد بضيافتها لي».

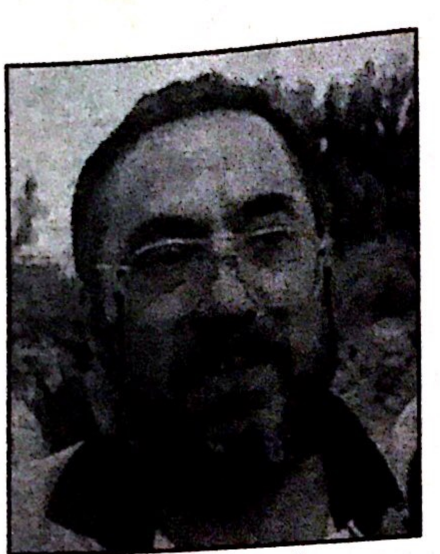
وعلى العكس من حالة فهد، فإن البياتي راوده التفكير بالمصير، وبالمكان الذي سيقيم فيه لدى خروجه، وألح عليه هذا وهو يستقل الحافلة الإسرائيلية إلى «حدود» قطاع غزة، و«تصدمني المفاجأة عندما فتحت لي كل الأبواب والأحضان».

يعجز البياتي، مثله مثل فهد، عن التعبير عن فرحته وأحاسيسه ومشاعره تجاه الحفاوة البالغة التي استقبل بها والأسرى المحررون جميعاً، وخصوصاً أسرى الدوريات، ويزيد من مشكلة البياتي لهجته العراقية البعيدة إلى حد ما عن اللهجة الفلسطينية، والتي لم تمحها السنوات العشرون التي قضاها في السجن.

ذات يوم، وكان موعد زيارة الأهل لسجن عسقلان قد اقترب، وكان قبلها بأيام وصل أبو هشام الرجبي وابنه هشام إلى السجن نفسه، عرض أبو هشام على البياتي أن يخرج معهما إلى الزيارة. عندئذ تعرف البياتي إلى من أصبح يعتبرها أخته، أم هشام.

كان البياتي وصل إلى سجن عسقلان من نفحة قبل فترة بسيطة، ثم أحضر إلى السجن نفسه عصام ابن أبو هشام الثاني، وكان هناك أسير لبناني ينتمي إلى منظمة حزب الله اسمه حسين طليس. وحسب جداول الزيارات كان يوم الخميس مخصصاً للدوريات، ويوم الجمعة مخصصاً لفلسطينيي الداخل، وكانت أم هشام تزوره وطليس الخميس، وتزور زوجها وأبناءها الجمعة. ولاينسى البياتي عائلة الأسير من منطقة ١٩٤٨، وصفي منصور، التي كانت تزوره أيضاً على مدى سنوات عدة، وكذلك أفراد عائلة أبو رقة من خانيونس، ويبدو الحزن ظاهراً على وجهه وهو يذكر اسم وصفي منصور (٦٤ عاماً) ذلك الأسير العجوز، الذي يعاني من نحو ٥٠ مرضاً.

كان العام ١٩٩١ عندما زارت أم هشام البياتي للمرة الأولى. قالت: «كنت متلهفة للتعرف إلى أي عراقي. كنت أود أن أشاهد أي أحد أو أي شيء من العراق، فتعرفت إلى علي».


المحرر علي عباس البياتي

نزار الشرافي أسير فلسطيني من مخيم جباليا، يقدم نقداً سلبياً ضد رفيقه محمود الكردي المعتقل حديثاً، قائلاً إنه انطوائي كان يبتعد عن رفاقه وأخوته في السجن. ويسأل المسؤول التنظيمي للخلية في السجن نزار: «هل حاولت الاقتراب منه والتفاعل معه؟».

من هنا بدأت العلاقة بين نزار ومحمود (فهد). عرض الأول على الثاني أن يخرج للزيارة معه، فوافق، وتعرف إلى أم نبيل الشرافي والدة نزار. وتقول أم نبيل: «منذ ذلك الحين لم أنقطع عن زيارته ولو مرة واحدة باستثناء فترة قصيرة العام الماضي بسبب قيامي بأداء فريضة الحج، وفترة أخرى بسبب منع سلطات الاحتلال إياي زيارته».

وتستذكر: «في أحد الأيام طلبت من المجندة الإسرائيلية أن تناديه للزيارة فقالت أن امرأة أخرى طلبته.. فجن جنوني وعملت «طوشة» كبيرة مع المجندة الإسرائيلية، وقلت لها أن هذا ابني ولاتسمحي لأحد أن يزوره غيري». وكما فعلت أم هشام فعلت أم نبيل، التي اعتقل الجيش الإسرائيلي، قبل الانتفاضة وخلالها عدداً من أبنائها: اعتقل أمين ومحمد وعلي ونزار، وتنقلوا بين السجون، أصيب أمين بشلل نصفي، شفي منه لاحقاً، بسبب التعذيب في أقبية التحقيق، واستشهد علي لاحقاً قرب منزله القريب من مقر قيادة الحكم العسكري في وسط مخيم جباليا، مختنقاً بالغاز المسيل للدموع. واستشهد والد علي البياتي في ملجأ العامرية في بغداد خلال القصف على الملجأ أثناء حرب الخليج الثانية. بكى علي وهو يتذكر والده عندما أجابنا على سؤال: متى يبكي الأسير؟

علي رفض أن يبكي، وحبس دموعه، ومنعها من الانهمار رغم أنها كانت قريبة جداً، وذلك عندما زارته أمه مرة واحدة وحيدة.

لم تكن أم علي تعرف أن ابنها على قيد الحياة إلى أن استطاعت أم هشام بمساعدة أخوتها المقيمين في الأردن الوصول إلى عنوان أسرته في العامرية. جاءت أمه لزيارته بعد محاولات حثيثة باءت بالفشل. رفض السجان السماح له بمعانقتها أو تقبيل يديها. الشيء الوحيد الذي سمح له أن يراها ويتحدث معها قليلاً.

قال علي: «حبست دموعي حتى لا أبكي أمام ناظريها. لم أشأ أن تشعر بأنني ضعيف، بل أردت أن أثبت لها أنني قوي لأنني فعلاً أقوى من السجان ومن القهر والدموع والعذاب والتعذيب».

وهنا سألناه: كيف للسجين أن يتغلب على السجن والسجان؟

قال: «بالقراءة والثقافة والصمود».

كيف الصمود أمام بطش الجلاد، الذي لايترك لحظة واحدة إلا ويستغلها لقتل كل روح معنوية لدى الأسير، كل أمل بالحرية، كل لحظة فرح، وكل انتماء للوطن والقضية؟

يقول: «تغلبنا عليه بأن حولنا السجون مدارس وأكاديميات.. فتعلمنا لغات أجنبية. علمنا الأمين الكتابة على ورق علب السجائر. درس بعضنا في الجامعات، ولم نترك لحظة واحدة أراد استغلالها السجان إلا واستثمرناها لمصلحتنا».

ومثله فعل فهد، إلا أن فهد حاول أن يكون فناناً، فبذل الجهد واتقن الصنعة فهاهو يصنع من الخرز ومن خيوط الحرير تحفاً فنية غاية في الاتقان والجمال، ويهدي أمه، أم نبيل بروازاً صنعه من حبات خرز ملونة أدخلتها إلى السجن أمه. رسم بالخرز قلبين بينهما شمعة مضاءة، ووشاحاً كتب عليه كلمة Love بالإنكليزية، ووردة متفتحة وكتب تحت كل هذا «أمي.. قلبك زهرة لاتذبل».

وأهدى ابنة شقيقته جميلة الشراخي (١٦ عاماً) مجسماً للمسجد الأقصى مصنوعاً من ورق الكرتون المقوى والحرير في لوحة بديعة متقنة. وقالت جميلة: «أشعر بسعادة غامرة لأن خالي فهد أهداني هذه الهدية الرائعة».

لاتتذكر جميلة أول زيارة قامت بها لسجن نفحة لزيارة خالها «فهد» ولاتكاد تذكر مادار بينهما من حديث، عندما زارته وهي ابنة السادسة من عمرها، والآن، بعد نحو ١٠ سنوات، لاتشعر أنه غريب عن أسرتها، وان كانت لاتزال تشعر بوجود حاجز نفسي بسيط يفصل بينهما، وذلك راجع إلى أنه خارج حديثاً من السجن، وهي تأمل بأن يزول هذا الشعور قريباً.

ونحن نجري المقابلة معها في منزلها جاءت طفلة صغيرة وقالت: «يا ستي حضر عمي فهد». قالتها الطفلة لجدتها أم نبيل بلا تكلف أو مبالغة.. فالأولاد والبنات يعتبرونه عمهم، وبنات البنات يعتبرنه خالهن.

توجه أم نبيل وأم هشام رسائل محبة وود إلى والدة البياتي ووالدة حسين طليس، ووالدة فهد، ووالدة سمير قنطار.. اطمئنوا فأبناؤكم أمانة في أعناقنا. لاتقلقوا عليهم، نحن نرعاهم كما أنتم تماماً ونأمل أن تلتقوا مع أبنائكم قريباً.

(*) نشرت في صحيفة الحياة اللندنية بتاريخ ٢٦/١٠/١٩٩٩، بدون ذكر اسم الكاتب.

جدل المنظمات غير الحكومية

هل هي بديل عن الحزب السياسي؟

أحمد جابر

لم تنته بعد، المعركة التي اندلعت بين السلطة الفلسطينية من جهة، والمنظمات غير الحكومية (NGO,s) من جهة أخرى، وهي معركة استخدمت فيها الكلمات بمستوياتها المختلفة إلى جانب أسلحة أخرى متعددة، بدءاً من التضييق الاقتصادي والاحتواء القانوني، مروراً بالحملات الإعلامية المتبادلة وصولاً إلى الفضائح والتشويه.

تهدف هذه المقالة إلى إلقاء الضوء على النقاط الأساسية في الجدل الدائر والمشاركة فيه، في محاولة للوصول إلى رأي محدد بناءً على معطيات ملموسة دون مواقف مسبقة.

وقبل الدخول في مناقشة وضعية المنظمات غير الحكومية في فلسطين والجدل الدائر حولها وقضايا المجتمع المدني التي تشملها لابد من إلقاء نظرة عامة على آراء مختلفة حول مسألة المجتمع المدني تأتي مجرد إشارة فقط وإطار عام أولي لمناقشة الموضوع.

يعيد بعض الباحثين بروز المنظمات الأهلية غير الحكومية إلى مرحلة انهيار الستالينية أواخر الثمانينات وأوائل التسعينيات، حيث جرى إعادة فتح النقاش على أوسع نطاق بمقولات السياسة الثورية خصوصاً ذلك المصطلح الإشكالي «سلطة الدولة».

وقد توج هذا النقاش في الثمانينات بالتوجه العام نحو رفض السياسات الحزبية وتبني أشكال جديدة للنضال عبر مفاهيم«بناء مؤسسات المجتمع المدني وتقرير سيادة القانون والديمقراطية» و هذا يعني عملياً إقامة منظمات غير حكومية تتلقى الدعم المالي من منظمات في الدول الإمبريالية. هذا الدعم نفسه الذي كان من المفترض تقديمه للحركات السياسية، إنها نزوع نحو اللاتسييس، إذن وهذه نقطة أولى نسجلها وسنرجع إليها بعد قليل.

اليسار، معني تحديداً بهذا الجدل كونه الحامل عادة لرايات التغيير التي (تحاول) منظمات المجتمع المدني نزعها منه.

يأتي الجدل حول المنظمات غير الحكومية في ظل الجدل الدائر في الساحة الفلسطينية عموماً، حول فكرة المجتمع المدني، هذه الفكرة التي تتعرض لنقد شديد من اتجاهات مختلفة. ولعل من المفيد هنا إيراد تعريف للمجتمع المدني بشكل عام بداية ذلك الجزء من المجتمع الواقع بين الدولة والفرد، مجموعة كبيرة ومختلفة من المؤسسات، مثل النقابات والأندية الشبابية، والمنظمات النسائية والثقافية والدينية والتجارية، وحتى الأندية الرياضية. ما سبق هو خلاصة جملة التوضيحات التي يطلقها منظرو المجتمع المدني دون أن يقدموا تعريفاً شاملاً ومحدداً على الإطلاق.

نلاحظ في التعريف السابق غياب الحديث عن الأحزاب، وهذا طبيعي فالفكرة تتمحور حول اللاتسييس ولعل هذا هو محور وجوهر النقد الموجه للفكرة وللمنظمات غير الحكومية.

وقد نشأت هذه المنظمات بداية في ظل الاحتلال البريطاني لفلسطين على شكل مؤسسات خيرية تمولها الطبقة الثرية، وقد بقيت هذه المؤسسات ذات طابع بعيد عن السياسة، وعديمة الأهمية في سياق الفعل العام.

وعادت المنظمات غير الحكومية للعمل في ظل الاحتلال مقدمة مساعدات مختلفة للمواطنين الفلسطينيين طبية وإغاثية وتعليمية وقانونية وغيرها.

وقد عملت جنباً إلى جنب منذ 1982 مع الأذرع الجماهيرية للأحزاب الفلسطينية وخصوصاً الحزب الشيوعي الذي كان رائد المناداة بهذا المفهوم (المجتمع المدني) حتى أن بعض أذرع هذه الأحزاب تحولت أثناء وبعد الانتفاضة إلى وضعية المنظمات غير الحكومية (التي تتحدث باسمها) استجابة لشروط التمويل الخارجي بعدما انقطعت معونات م.ت.ف عنها.

وبعد توقيع اتفاقيات أوسلو حدثت نقلة نوعية في عدد من هذه المنظمات التي ربما وصلت إلى حدود تفوق التصور في جغرافيا محدودة كما هو الحال بالنسبة لأراضي السلطة الفلسطينية.

هذا التفاقم في عدد المنظمات غير الحكومية يبدو كما قلنا غير مفهوم، في ظل هذه الوحدة الجغرافية المحددة، مع العلم أن هذه الجغرافية تتشارك فيها منظمات إسرائيلية مع المنظمات الفلسطينية إضافة للمنظمات المشتركة.

ويأتي النقد عن جهات مختلفة من السلطة من جهة ومفكرين وسياسيين من جهة أخرى ومن هذه المنظمات ذاتها من جهة ثالثة.

ويأتي نقد السلطة استناداً إلى تهم الفساد الموجهة إلى هذه المنظمات وهدر الأموال الخاصة بالشعب الفلسطيني ومحاولة تنازع السيطرة على المجتمع مع السلطة، والتدخل في القضايا السياسية وغيرها، وطبعاً ردت هذه المنظمات على السلطة وحملاتها الإعلامية بحملات إعلامية مضادة واتهامات الرشوة والفساد داخل صفوف السلطة.

النقد الأكثر عمقاً برأينا يأتي من جهة مختلفة ليست السلطة بالتأكيد، تكمن أهمية هذا النقد برأينا من كونه يذهب إلى معالجة الأسباب الكامنة وراء انتشاء هذه الظاهرة وتحليل مخاطرها في سياق محدد هو عدم تسييس المجتمع وباعتبارها تعبيراً عن هزيمة القوى السياسية و فشلها في تقديم مشروع تغيير حقيقي يعالج قضايا العلاقات الأساسية في المجتمع التي تؤدي إلى نمط معين من القوانين والممارسة الديمقراطية، نمط معين من ممارسة السلطة على المجتمع المدني.

يرى عزمي بشارة إن مفهوم«المجتمع المدني» (ولاحقاً إفرازاته) ابتكر في سياق تاريخي مستعار،جرده من شرطه التاريخي ليحوله إلى مجرد نبت شيطاني معزول عن تعيينه الاجتماعي التاريخي المحدد. ويقول بشارة أنه «يوجد أزمة عزوف للمثقفين عن العمل السياسي، لا يوجد سياسة بدون عمل حزبي، وفي فترة أزمة العمل الحزبي بشكل خاص تزداد الحاجة إلى مثقفين، وهروب هؤلاء لما يسمى المنظمات غير الحكومية وغيرها هو هروب مأزوم وخطير جداً، لأن عداء المثقفين للسياسة هو صديق الديكتاتوريات الأول».

ويعتبر أن القول بعدم تسييس المجتمع المدني وغيرها هي سخافات وترهات تطلق في الغرب لإبعاد مثقفي العالم الثالث عن السياسة التي وحدها قادرة على صوغ برامج وانتاج أفعال تؤدي إلى التخلص من الاستعمار (بأشكاله) وإبطال نموذج الهيمنة، وإنهاء السيطرة الغربية على العالم الثالث.

إن أكثر ما يمكن أن يسبب قلقاً وربما رعباً للرأسمالية الغربية الاستعمارية هو مجتمعات فقيرة ومسيسة، تكون أفضل الأمكنة لصنع الثورات.

وهجوم بشارة لا ينصب على الفكرة بحد ذاتها وإنما على طريقة التعاطي معها في العالم العربي وفلسطين تحديداً، فهو يعتبر أن مفهوم المجتمع المدني تم استيراده دون أن يمر بعمليات الفرز التاريخية الضرورية التي مر بها في أوروبا، فقد تم استيراده كما هو في آخر طبعة له وإسقاطه على مجتمع يعيش سياقاً تطورياً مختلفاً تماماً، ومن هنا نشأت الأزمة، ولكي يعاد المفهوم إلى سياقاته الطبيعية يجب الانطلاق من

الخصوصية المحلية للواقع السياسي الاجتماعي للمنطقة العربية وهنا يصبح النضال من أجل المجتمع المدني في حقيقته نضالاً من أجل الديمقراطية، وهذا لا يمكن أن يكون شيئاً آخر غير عمل سياسي فعال.

والهدف إذن هو احتواء النخب السياسية (بعد تفريغها من مضمونها السياسي) والفكرية والمثقفين لإبعادهم عن المجرى الوحيد والطبيعي لاستقطابهم، أي ما يسميه إدوارد سعيد «التفكير بالمصير الوطني الجماعي للشعب واستبدال هذا التفكير بمرجعيات وهمية لتفريغه من محتواه الوطني العام» والغريب في الأمر أنه في الوقت الذي يوجه فيه سعيد نقده على المنظمات غير الحكومية باعتبارها تحاول احتلال الدور المفترض للفصائل السياسية بوصفها "الممثلة لإطار التفكير بالمصير الجماعي للشعب»، فإن هذه الفصائل تشن حملة مضادة لدعم المنظمات غير الحكومية وانتقاد الحملة عليها.

ويبدو هذا الدفاع هروباً من اليسار الفلسطيني بالذات من مواجهة مسؤولياتها في إصدار برامج سياسية تغييرية حقيقية بعد أوسلو «إنه اليسار الفلسطيني المهزوم الذي أدخل مفهوم المجتمع المدني إلى الثقافة المحلية، فاليسار تصور هذا المفهوم كنمط حكم جيد، - وفي الحقيقة - فإن تداول مفهوم المجتمع المدني في السياق التاريخي الراهن في فلسطين يقابل أو يعني الهزيمة» بكلمات ريما حمامي.

ويعود هذا النقد إلى ملاحظة أساسية أن ثمة حركة سريعة لتحويل المجتمع إلى اللاتسييس واستبدال النضالات الشعبية بأجسام مهنية تحصل على التمويل الخارجي لإقامة حلقات نقاش ودورات تدريب ومؤتمرات ومرافعة قانونية عن الحقوق دون أي حراك جماهيري.

ضمن هذا الإطار لرؤية وفهم الجدل الدائر حول المجتمع المدني ندخل في مناقشة دور المنظمات الأهلية في فلسطين، يعيش المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية والقطاع حالة خاصة، فالمجتمعات الغربية مثلاً عرفت المؤسسات والمنظمات والجمعيات في مرحلة ما بعد قيام الدولة وكمحاولة للحد من صلاحيات السلطة، أما في حالتنا الفلسطينية فإن القوى السياسية استطاعت أن تطور أدواتها وهياكلها وبناها التنظيمية ومؤسساتها الجماهيرية قبل قيام السلطة بأكثر من عقد من الزمن.

يحدد د. علام جرار «إن أهم دور للمنظمات الأهلية الفلسطينية في ظل التطورات السياسية الراهنة والمستقبلية هو المساهمة في بناء مجتمع مدني في فلسطين [وهذا الهدف] ضروري لبناء مجتمع فلسطيني ديمقراطي ومشارك».

تأتي السياسة في صلب المهمات المطروحة إذاً، فعلى المنظمات أن تلعب دوراً في الوساطة بين السلطة والشعب وبناء مجتمع ديمقراطي، وهذه برأينا مهمة سياسية في الجوهر، إضافة إلى دورها الوطني والاجتماعي، ولكن هذه الأدوار ليست حكراً على المنظمات غير الحكومية، فهي تتشارك بها مع الأحزاب التي تسعى عبر برامجها (هكذا تزعم على الأقل) إلى بناء مجتمع ديمقراطي ودفع الشعب للمشاركة في صنع القرار، وتسعى في برامجها الاجتماعية لتلبية المطالب الاجتماعية الملحة للشارع الجماهيري إضافة إلى قضايا تعتبرها المنظمات غير الحكومية في صلب وظيفتها مثل قضايا حقوق الإنسان والمرأة ومحاربة الفقر والبطالة وغيرها.

في ظل وضعها الإشكالي كجزء من تطور المجتمع بمعزل عن سلطة الدولة/ المنظمة وأجهزتها ورغماً عن الاحتلال فإن هذه المفاهيم التي يجري النضال حولها أصبحت مصدر تصادم مع السلطة، وهو تصادم قائم في الحقيقة بين اتجاهين في التفكير (كلاهما موجود بقوة الأمر الواقع) تطور كل منهما بمعزل عن الآخر، وإذا كانت العلاقة في البداية هي مرحلة جس نبض فيبدو أنها وصلت إلى مرحلة الصدام.

أحد أوجه هذا الصدام يأتي من التساؤل المشروع حول وظيفتها في كل مرحلة من المراحل التي يعيش فيها المجتمع الفلسطيني: مثل «لماذا يكون الدور الذي تقوم به منظمات حقوق الإنسان الفلسطيني موضع ترحيب وإعجاب وتقدير زمن الاحتلال وموضع شجب زمن السلطة وعهد التحرير».

ولماذا تعمل السلطة وعن عمد على الخلط بين وظيفة هذه المنظمات ودور الحزب السياسي، وهذا الخلط كما هو واضح قائم على تناقض في جوهر موقف السلطة، الذي يدعو المنظمات للعمل السياسي إذا تعلق الأمر بمناهضة الاحتلال، ويحرم هذا العمل إذا تعلق الأمر بالسلطة.

المطلوب إذاً وحدة في المعايير والنظرة لأن مسألة مناهضة التعذيب مثلاً لا تتجزأ ففي نفس الرتم الذي يجب العمل على مناهضة تعذيب الشين بيت للمناضلين المعتقلين الفلسطينيين يجب القيام بنفس العمل ضد ممارسات جهاز الشرطة الفلسطينية التي أثبتت في إشارات عديدة أنها لا تقل قمعاً عن جارتها الإسرائيلية.

يجب أن نلاحظ هنا أن السلطة محكومة في نظرتها لفعل وتأثير العوامل الخارجية ومقيدة بقوانين تعكس المصالح المعادية لها ولشعبها، ومعادية بالتالي للمنظمات غير الحكومية في مجملها مادامت هذه المنظمات ترفع شعارات لا تتناسب مع القائم، وترفض أخذ مواقف سياسية مؤيدة لنهج السلطة.

في ظل وضع تصادمي من هذا النوع نتساءل مرة أخرى عن دور هذه المنظمات في تحويل المجتمع إلى الديمقراطية وقبل ذلك نتساءل هل يمتلك النظام القائم شروطاً تجعل بالإمكان تحويله إلى ديمقراطية. الإجابة على هذا السؤال تتحدد بغياب الدستور حتى الآن فالرئيس يمتنع عن التوقيع على القانون الأساسي حتى اللحظة، وغياب الفصل بين السلطات والتضييق على حرية الأحزاب وحرية المنظمات السياسية والاجتماعية، هذا يضعنا أمام جوهر الكفاح المطلوب بأنه كفاح سياسي بالأساس لأنه يحتاج إلى حراك جماهيري فعال تضمنه الأحزاب وحدها فالأحزاب هي التي تسعى لتغيير سياسات والوصول إلى السلطة، أما المنظمات المدنية، ونحن نرى في الحقيقة أنه لا يوجد منظمات لاسياسية بالمطلق حتى ولو ادعت عكس ذلك، فهي تسعى لخلق مناخات ملائمة وصحية لعمل الأحزاب عبر الكشف عن الحقائق والدفع نحو سن قانون للأحزاب وضمان التعددية السياسية والفكرية وتداول السلطة والديمقراطية.

السؤال إذاً ليس عن مبرر وجود هذه المنظمات ولكن النقاش حول تنظيم عملها وخدماتها وهذا يدفعنا للتساؤل حول محاولات التنظيم بما يتلاءم مع مصلحة السلطة ورقابة أجهزتها حسب القانون المقدم من الرئيس باعتبار وزارة الداخلية هي مرجعية المنظمات غير الحكومية وليس وزارة العدل كما هو معتاد، المعروف أن الرئيس عرفات يرأس بنفسه وزارة الداخلية.

وهذا يدفع أيضاً للتساؤل حول المغزى من إقدام السلطة على الهجوم العشوائي ضد المنظمات غير الحكومية جميعها من دون تمييز مع العلم أنها نفسها «السلطة» تعقد حلفاً وتعاوناً فعالاً مع منظمة غير حكومية إسرائيلية وصهيونية أيضاً هي مركز بيريز للسلام الذي تم تعيين كارمي جيلون رئيساً له وهو رئيس الشين بيت السابق وأشرف على تعذيب آلاف الفلسطينيين أثناء الاستجواب ورفض وقف التعذيب ضد المعتقلين الفلسطينيين.

أخيراً فإذا كنا نؤكد على أن أي تغيير فعال لايمكن أن يتم في ظل تخلي الأحزاب السياسية عن وظيفتها لأن أي جهة لايمكن أن تقوم بهذه الوظيفة، وهذا التخلي يشير إلى خطر حقيقي يتهدد المجتمع الفلسطيني الذي يواجه مصاعب وإشكاليات سياسية في جوهرها.

إن المنظمات غير الحكومية ليست شراً مطلقاً أيضاً كونها تلعب دوراً هاماً في ظل غياب المعنى الشامل للدولة وتؤدي للمجتمع خدمات لاغنى عنها.

ما سبق كان نقاشاً عاماً - ربما لم يكن جوهرياً - على هامش الجدل الدائر حول المنظمات غير الحكومية وحاضنتها المجتمع المدني، والتسييس وتغييب السياسة، الأحزاب. لم نسعَ من خلاله إلى الخوض في دائرة النزاع الدائر بين السلطة وهذه المنظمات وهذا يعود ليس لتجنب اتخاذ رأي وإنما لغياب المعلومات الكاملة أساساً التي تمكن من اتخاذ موقف لا يجانب الصواب ■■

وجهة نظر

أوراق الحوار للجبهة الشعبية

الابتعاد عن الواقع يدفع باتجاه الارتباك

سمير الزبن

إذا كان الحوار الوطني الفلسطيني بين القوى المشاركة والمعارضة لعملية السلام ضرورة ملحة، بحكم المخاطر التي تمر بها القضية الفلسطينية مع دخول مفاوضات الحل النهائي، وضرورة تحشيد كل القوى من أجل الوصول إلى الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، بصرف النظر عن اختلاف المواقف بين الأطراف الفلسطينية، فإن موضوعات هذا الحوار تشكل الأساس الذي يمكن أن تُبنى عليه آليات تحشيد هذه القوى. ومن هنا على هذه الموضوعات أن تلحظ ما وصلت إليه الحالة الفلسطينية من معطيات، والانطلاق من هذه المعطيات لبناء السياسة المجدية بشأن القضايا الملحة والحاسمة والمؤثرة على الأداء السياسي الفلسطيني خلال الفترة القادمة والحرجة في التاريخ الفلسطيني.

تتناول الأوراق التي قدمتها الجبهة الشعبية للجولة الثانية من الحوار مع حركة فتح في عمان أواخر أيلول الماضي، الموضوعات التي تعتبرها ضرورية من أجل صياغة موقف فلسطيني موحد تجاه القضايا الفلسطينية المطروحة على الحوار. ونظرة مدققة للأوراق المقدمة، تُظهر بما لايقبل مجالاً للشك الارتباك الذي تعاني منه هذه الأوراق بالنظرة للمعطيات الفلسطينية القائمة اليوم، والتي من المفترض أن ينطلق منها الحوار للوصول إلى غاياته المنشودة. والارتباك الموجود في الأوراق يعكس أساساً الارتباك في موقف الجبهة الشعبية، بعد اتخاذها الموقف الآخر بفتح الحوار مع حركة فتح. وأصبح عليها أن توفق بين الحوار ومتطلبات نقاش افرازات أوسلو على الواقع الفلسطيني القائم، والاحتفاظ بذات الوقت بموقف معارض لاتفاقات أوسلو. ونجد انعكاس هذا الارتباك في أوراق الحوار، عندما تحاول ورقة «الإصلاح الديمقراطي في مؤسسات م.ت.ف» أن تتجاهل السلطة الوطنية والتي لم تتطرق إليها إلا بإشارتين، واحدة محقة تماماً ومطلباً مشروعاً وهي «ضرورة الفصل بين هيئات ومؤسسات المنظمة والسلطة والحفاظ على استقلاليتها». والثانية مرتبكة جداً، وهي تقول «يعتبر أعضاء المجلس الوطني المجتمعين ممثلي الداخل بمثابة الجسم التشريعي للكيان الفلسطيني قبل قيام الدولة ويمارسون مهامهم باعتبارهم السلطة التشريعية للداخل الفلسطيني وكأعضاء طبيعيين في المجلس (البرلمان) في حالة انعقاده الشامل». ولايُفهم من هذه المادة، أن هناك فصل بين انتخابات المجلس الوطني وانتخابات السلطة التشريعية؟ أو أن حصة الداخل من أعضاء المجلس الوطني هم الهيئة التشريعية؟ أو أن أعضاء الهيئة التشريعية المنتخبين في الداخل هم أعضاء في المجلس الوطني كما هو عليه الحال الآن؟ ولايزيل سوء الفهم نص ورقة «مهمات لارساء وتعزيز الديمقراطية في المجتمع الفلسطيني» عندما تقول «هيئة التشريع المنتخبة جزء لايتجزأ من المجلس الوطني الفلسطيني ومنه تستمد صلاحياتها، ولذلك فإن انتخابها يتم في إطار الانتخابات العامة التي تجري لاختيار عضوية المجلس الوطني من خلال العملية الانتخابية الديمقراطية». فهذا الكلام أيضاً لايحدد هل هناك فصل أم لا؟ وتبقى المسألة عائمة، والسبب الرئيسي في تعويم المسألة أن هذه الأوراق تسعى بشكل واع وغير واع لتجنب موضوع الاتفاقات الفلسطينية - الأسرائيلية. وحتى عندما تشير الأوراق إلى ضرورة إعلان الدولة الفلسطينية، فإنها تسند هذه الضرورة إلى «أن منظمة التحرير الفلسطينية تملك اليوم سلطة وأرضاً وشعباً، وهي العناصر الضرورية التي تشكل مرتكزات أساسية لإعلان قيام الدولة» دون الإشارة إلى الآلية التي جعلت منظمة التحرير الفلسطينية «تملك» - وهو تعبير نافر- سلطة وأرضاً وشعباً.

إن الإصرار على تجاهل الاتفاقات الفلسطينية - الإسرائيلية، يضعف تماماً الأوراق المقدمة إلى الحوار، ورغم أن العديد من قادة الجبهة الشعبية وفي تبريرهم للحوار مع حركة فتح أقرّوا أن هذه الاتفاقات أصبحت «أمراً واقعاً». وعندما تتحول هذه الاتفاقات إلى أمر واقع يجب التعامل معها حتى لو كان التعامل معها من موقع المعارضة. لأنها بهذا التحول أصبحت تحكم مسارات العمل السياسي الفلسطيني، ولايمكن لأية قوى سياسية أن تدّعي أنها لم تتأثر بشكل أو بآخر باتفاقات أوسلو.

وبالتقييم الموضوعي لهذه الاتفاقات لاشك بأنها شكلت نقطة تحول حاسمة في تاريخ العمل السياسي الفلسطيني، ونقلته من موقع إلى آخر. فإفرازات هذه الاتفاقات علىالواقع السياسي الفلسطيني لاعودة عنها، ومن هنا، أية معالجة لآفاق العمل السياسي الفلسطيني لايمكن أن تتجاوز اتفاقات أوسلو. وهذا لايعني أن هذه الاتفاقات كانت عادلة بحق الشعب الفلسطيني إطلاقاً. إنما لايمكن اعتبارها سقفاً مطلقاً، ففي الوقت الذي تشكل هذه الاتفاقات واقعاً مجحفاً بحق الشعب الفلسطيني، فإنها تتضمن مكاسب فلسطينية أيضاً، وهذا ما يجعل الأوراق تقول أن منظمة التحرير «تملك» سلطة وأرضاً وشعباً، فكلنا يعرف أن هذا «التملك» كان بفعل الاتفاقات الفلسطينية - الإسرائيلية التي تسعى الجبهة الشعبية لتجاوزها، وهذا لايعني أن الآخرين يقرون بهذا الإجحاف، ويعتبرونها الحل العادل للمشكلة الفلسطينية. وفي نهاية الأمر لايمكن اعتبار أي معطى سياسي شراً بالمطلق أو خيراً بالمطلق، وحتى في حال اعتباره ينتمي إلى هذا الاستقطاب الحاد في التقييم، فإن أية قوى سياسية تريد أن تشتغل في السياسة، لاتستطيع أن تتجاوز أي معطى سياسي مهما كانت سلبية. من هنا يصبح تقييم اتفاقات أوسلو بمالها وما عليها وليس تجاهلها مدخلاً ضرورياً لتجاوز إجحافها ولوضع العمل السياسي الفلسطيني على سكة جديدة.

بناءً على هذه الملاحظة الأساسية، نستطيع أن نقول أن الأوراق استعادت كل المطالب التي نادى بها اليسار الفلسطيني خلال تاريخ التجربة الفلسطينية. بحيث أن أية مقارنة سريعة بين ما تدعو إليه أوراق الحوار، ما دعا إليه اليسار الفلسطيني تاريخياً، نجد أن هناك تطابقاً، إلا في صياغات هامشية تلحظ المتغيرات في الساحة السياسية الفلسطينية، ولكن دون معالجتها بعمق كاف يتناسب مع عمق المتغيرات التي أفرزتها في الواقع السياسي الفلسطيني.

وحتى لانظلم الأوراق تماماً، نشير إلى أن ورقة «مهمات لإرساء تعزيز الديمقراطية في المجتمع الفلسطيني» تتعامل مع الوقائع الجديدة مضطرة، مما يؤكد ما قلناه سابقاً، لا ما ينفيه، لأن أي تعزيز للديمقراطية لابد أن يكون في المواقع التي تسيطر عليها السلطة الفلسطينية، ومن هنا تتقدم الورقة بقائمة من القضايا حول السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية، والحريات الصحفية ومؤسسات المجتمع المدني وصولاً إلى التعليم والصحة والعمل والعمال، وهي مطالب أملاها الواقع الجديد الذي أفرزته اتفاقات أوسلو. وهنا، كان لابد من التعامل مع هذه الوقائع، والحديث عن تجاوز «مظالم أوسلو» حسب نص الورقة. ومن الصحيح في

هذا المجال أن المستقبل السياسي للكيان الفلسطيني، يتأثر مباشرة بنموذج السلطة الذي تكرسه التجربة الفلسطينية في الأراضي الفلسطينية. فكلما كان هذا البناء الداخلي أكثر تماسكاً وأكثر تعبيراً عن الواقع الفلسطيني عبر آليات ديمقراطية حقيقية، كلما كان هذا البناء قادراً على الاستجابة للمهمات المطروحة عليه. فشروط بناء الدولة الداخلي لايقل أهمية عن شروط بناء الدولة الخارجية، وتكامل هذه الشروط يجعل إمكانية تحقيق هذا الحق، إمكانية واقعية، وتنقله من مستوى إلى آخر.

إن الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، بالعودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية، لاخلاف عليها في الساحة الفلسطينية، لكن الخلاف يكمن في كيفية الوصول إلى هذه الحقوق. فالعمل السياسي الفلسطيني - وأي عمل سياسي - هو أسير المعطيات الوطنية والإقليمية والدولية، والتجربة الفلسطينية بشكل خاص أسيرة المعطيات الوطنية والإقليمية والدولية أكثر من غيرها، مما يجعل ضرورة أخذ المعطيات المتعلقة بهذه الأوضاع مسألة لايمكن تجاوزها. وهذا لايعني أن المعطيات الوطنية الفلسطينية عامل ثانوي. إن تشابك وتعقيد المعطيات الفلسطينية عامل حاسم أيضاً. فبعد أوسلو أصبحت المعطيات الفلسطينية تختلف عما كانت عليه قبلها. ففي الوقت الذي كان الوجود الفلسطيني ينقسم إلى وجود في الشتات ووجود تحت حراب الإحتلال، أصبح هذا الوجود اليوم مثلثاً: وجود في الشتات ووجود تحت حراب الاحتلال ووجود تحت السلطة الفلسطينية، وهذا التنوع الجديد في الواقع السياسي الفلسطيني يحتاج إلى إجابات تختلف عن تلك التي كانت سائدة سابقاً، وهنا معضلة الأوراق أنها تستدعي إجابات قديمة للإجابة على اسئلة جديدة.

أعتقد أن الجبهة الشعبية لو تعاملت مع ما يجري في ساحة المفاوضات، على أنها معنية بنتائجها، بصرف النظر عن مشاركتها بالمفاوضات أو عدمه، مع احتفاظها بموقف المعارض للاتفاقات لكان تأثير ذلك على الأوراق أفضل، فليس هناك من قوة سياسية تستطيع أن تدّعي أنها لن تتأثر بمفاوضات الحل النهائي سواء كانت مشاركة بالمفاوضات، أم معارضة لها. وفي هذا المجال تكون إمكانية البحث عن إجابات جديدة لأسئلة جديدة، أكثر اقتراباً من الواقع. فعلى سبيل المثال، الجدل حول إجراء انتخابات فلسطينية في الشتات، لاتحسمه إرادة فلسطينية، مهما كان التوافق الفلسطيني عليها متطابقاً. لذلك ينتظر من الحوار الفلسطيني - الفلسطيني، أن يمتلك إجابات ملموسة على الوقائع الفلسطينية ■■

طموحات كبيرة وواقع متواضع

محمد الطويل

لقد نشرت مجلة الهدف في عددها الأخير الأوراق الخمس التي تقدمت بها الجبهة الشعبية إلى وفد اللجنة المركزية لحركة فتح في اجتماع عمان الأخير بين الطرفين وبهذه المقالة سنتناول ورقتين الإصلاح الديمقراطي في مؤسسات م.ت.ف. والدولة الفلسطينية. إن المتتبع لمجريات النضال الوطني الفلسطيني على مدار عمر م.ت.ف يتذكر جملة الأوراق المقدمة في السابق والداعية إلى الإصلاح الديمقراطي وتفعيل مؤسسات م.ت.ف والتمثيل النسبي والانتخابات الديمقراطية للمجلس الوطني لكن لم يتم تطبيق أي شيء من هذه الأوراق والدعوات في السابق بل ازداد الحال سوءاً في هذه المؤسسات لقد حظيت هذه الدعوات في السابق وتحظى هذه الدعوة الورقة المقدمة من الجبهة بتأييد جماهير شعبنا وقواه الوطنية المختلفة حتى التي لم تشارك في الحوار لكن يبقى السؤال هل هناك إمكانية واقعية في ظل التركيبة الحالية لقيادة م.ت.ف لتحقيق الإصلاح الديمقراطي على الأرض، لا أعتقد ذلك لأن هذه القيادة المبنية على أساس التفرد والهيمنة والسيطرة على القرار الوطني ستفقد مشروعها السياسي في حال وافقت على الإصلاح لذلك أعتقد أنها ستلجأ إلى بعض التحسينات والتجميلات كما فعلت في السابق وخاصة أن طبيعة المرحلة تختلف عن سابقاتها السياسية من حيث الشكل والمضمون لذلك أرى من الضروري وقبل الحديث عن تفعيل مؤسسات م.ت.ف وإعادة تشكيل المجلس الوطني والمركزي، والتنفيذية إلخ. لابد من الاتفاق على أسس بناء م.ت.ف ودورها وبرنامجها لأن هناك أحداثاً سياسية واتفاقات وقعت باسمها زوراً لذلك لابد من الإجابة الصريحة والواضحة من قبل فتح والسلطة على هذه الأسئلة حتى يتم إعادة بناء مؤسسات م.ت.ف لأنه هناك من يقول أي م.ت.ف نريد أن نعيدها ونفعلها بعدما أسقطت كل شيء لنعود إلى جملة الأسئلة وهي:

أولاً: هل نريد تفعيل مؤسسات م.ت.ف بدون ميثاق وطني جامع لكل الشعب الفلسطيني؟

ثانياً: هل نريد م.ت.ف وهي معترفة بشرعية الكيان الصهيوني في رسائل الإعتراف المتبادلة.

ثالثاً: هل نريد م.ت.ف وهي مرتبطة باتفاقات ظالمة ومجحفة بحق الشعب الفلسطيني.

رابعاً: هل نريد م.ت.ف التي أسقطت قرارات الشرعية الدولية وهي مثقلة بجملة من الشروط والالتزامات الدولية.

هل تستطيع قيادة م.ت.ف التخلص من كل هذه القضايا التي نطالب بها في هذه الظروف السياسية المعقدة، إن أي متتبع لما يجري من تنازلات مجانية حتى عن الاتفاقات نفسها يدرك حقيقة أنه لايمكن لهذه القيادة أن تتراجع لذلك أرى من البديهي أن يتم الإجابة على القضايا السياسية وبعد ذلك نفكر بعملية الإصلاح والتفعيل لمؤسسات المنظمة بدون ذلك لاتستوي المعادلة ونصبح كمن يضع العربة أمام الحصان نحن بحاجة إلى قرار سياسي وإرادة سياسية وقيادة صلبة مؤمنة بقدرات الشعب الفلسطيني وواعية لخطورة المرحلة أن تتقدم وبصدق لمراجعة سياسية وتنظيمية. واجتماعية نقدية صارمة لتستطيع أن تصوب وتصحح مجمل الأخطاء والخطايا المرتكبة بحق القضية الوطنية وشعبنا الفلسطيني بدون ذلك لايمكن الحديث عن إصلاح وتفعيل وتطوير دور م.ت.ف.

الورقة الثانية والمتعلقة بإعلان الدولة الفلسطينية وبقرار وطني فلسطيني مستقل يبعد الهيمنة الإسرائيلية الأمريكية الذي يحدد شكل الدولة القادمة فهذا كلام لا غبار عليه ومطلب وطني فلسطيني تم التعبير عنه قبل ١٩٩٩/٥/٤ نهاية المرحلة الانتقالية وبعد ذلك عندما كانت كل الأصوات الوطنية الفلسطينية والشارع الوطني الفلسطيني يناشد ويطالب المجلس المركزي بالإعلان عن هذه الدولة لكن تم تأجيلها وبقرار فلسطيني تحت حجج واهية لذلك لابد مرة أخرى من الاتفاق السياسي على مبدأ إعلان الدولة وبقرار فلسطيني قبل الحديث عن التفصيلات، المهم وضع استراتيجية فلسطينية جديدة تقوم على أساس المواجهة والتصدي للاحتلال وتحمل أقصى درجات الظروف لأنها أي الدولة في حال إعلانها من طرف واحد تضرب صميم اتفاقات أوسلو التي تنص على عدم القيام بأي إجراء أحادي الجانب لذلك لابد من توفر الإرادة والأداة السياسية القادرة على تحمل مثل هذا القرار الذي باعتقادي ينقل نضال الشعب الفلسطيني من حالة نضالية أكثر رقياً وأكثر حزماً وأكثر تفاؤلاً لأن الدولة حلم كل الشعب الفلسطيني الذي سيدافع عنها بكل الإمكانيات مهما كانت الظروف العربية والدولية مأساوية سيتم الاعتماد على الذات الصامدة التي تهيئ لظروف موضوعية تجبر العالم على التعامل مع الحقائق على الأرض اعتقد هذا هو الحل الوحيد للخروج من المأزق السياسي الفلسطيني الذي وضعتنا به السلطة الفلسطينية عبر الاتفاقات الجزئية التي تلوح الآن في الأفق مرة جديدة كما قال رئيس الوزراء باراك إنه إذ لم يتم الاتفاق على الإطار للعمل النهائي فممكن العمل على حلول انتقالية جديدة وندخل في دوامة التنازلات مرة أخرى لذلك أرى من الضروري تجنيد الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية في معركة الدولة وممارسة كل أشكال الضغط على السلطة لإجبارها على الإعلان فوراً والبدء في بناء مؤسسات الدولة القادمة، يجب عدم ترك الموضوع بيد السلطة الوطنية لأنها كما أعتقد لايمكن أن تعلن عن هذه الدولة وبقرار فلسطيني يجب أن نقلع عن سياسة المناشدة المستخدمة حتى هذه اللحظة من قبل القوى الوطنية وإيجاد وسائل ضغط حقيقية قادرة على انتزاع مثل هذا الحق المقدس لأن طبيعة وخطورة وخصوصية المرحلة تتطلب ذلك فالقضية الوطنية والشعب الفلسطيني ونضاله في خطر حقيقي فيجب أن نكون على مستوى المسؤولية الوطنية ■■

هل يصار إلى تشديد القبضة على المخيمات الفلسطينية في لبنان؟؟

سمير محمود

تسير حياة الفلسطينيين في لبنان من سيء إلى أسوأ. فهم محرومون من حقوقهم المدنية والاجتماعية. ومن حق العمل وغرقهم في أزمات اقتصادية خانقة كما يعانون من البطالة. ليس هذا فقط، بل تجري محاولات لتشديد القبضة عليهم ومحاولة حرمانهم من التمتع بالديمقراطية وحق الحرية في التعبير وإبداء الرأي الحر.

فقد قدمت وزارة الداخلية اللبنانية مؤخراً اقتراحاً بإلغاء المرسوم رقم ٩٢٧ تاريخ ١٩٥٩/٣/٣١ الذي يحدد مهام «إدارة شؤون اللاجئين الفلسطينيين» بتقديم العون لهم وإيوائهم وتثقيفهم والعناية بشؤونهم الصحية والاجتماعية. واستبداله باقتراح جديد يشدد القبضة على المخيمات. ويقضي هذا الاقتراح تعيين مندوب من إدارة شؤون اللاجئين الفلسطينيين لكل مخيم يساعده ضباط من الدرك والأمن العام برتبة نقيب مع عناصرهم. مهمة هؤلاء رفع تقارير فورية إلى وزير الداخلية عبر المدير العام «لإدارة شؤون اللاجئين الفلسطينيين». كما تُسنَد لهذه القوات مهمة مراقبة حركات اللاجئين السياسية الذين ينتمون إلى أحزاب أو جمعيات أو منظمات ومراقبة الأمور والأعمال المخلة بالأمن والمشبوهين من اللاجئين.

كما تعطى لمدير عام شؤون اللاجئين صلاحية نقل محل إقامة أي لاجئ أو مجموعة من اللاجئين من مخيم نهر البارد في أقصى شمال لبنان، على سبيل المثال إلى مخيم الرشيدية في أقصى الجنوب كعقاب له، وفقاً لما يسمى مقتضيات الأمن. ومع أن الفلسطينيين يطالبون بسيادة لبنان على أرضه والعدالة لأنفسهم، إلا أن بعض أوساطهم، إذا ما صودق على هذه الإجراءات، تخشى أن تؤدي هذه المراقبات إلى إحصاء حركاتهم وسكناتهم وكتم أنفاسهم والعودة إلى سياسة القمع والسجون والتعذيب وما يزيد من تخوف الفلسطينيين تجاهل هذا الاقتراح م.ت.ف الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في الداخل والشتات وتجاهل أي مرجعية فلسطينية في هكذا أمور تمس صميم الحرية الشخصية للإنسان. كما يتجاهل وجود لجان شعبية منتخبة أو أي مرجعية مدنية داخل المخيمات.

هذا بالإضافة إلى أن هذا الاقتراح لايتطرق إلى أي حقوق للفلسطينيين لامدنية ولا اجتماعية ولاحتى إنسانية وينحصر هذا الاقتراح بالإضافة إلى تسجيل الزواج والولادات والوفيات بمراقبة التحركات السياسية للاجئين التي كررها أكثر من اثنتي عشرة مرة.

ويزيد من تخوف الفلسطينيين من هذا الاقتراح أنه أتى بعد حملة بعض الأوساط اللبنانية على المخيمات واتهامها بأنها جزر أمنية وبؤر للخارجين على القانون.

كما يأتي هذا الاقتراح بعد الحديث عن التوطين والدعوة لتهجير الفلسطينيين إلى خارج لبنان.

التوطين

كما يربط الفلسطينيون بين هذا الاقتراح والحملة ضدهم فيما يتعلق بموضوع التوطين. ومع اقتراب محادثات الوضع النهائي ومنها بحث موضوع اللاجئين ولاءات أيهود باراك رئيس وزراء العدو الصهيوني بأن لاعودة، للاجئين ويجب توطينهم حيث هم، بعد ذلك كثر الحديث عن توطين الفلسطينيين في لبنان. وعلى الرغم من رفض الفلسطينيين القاطع للتوطين، منذ الخمسينيات وحتى اللحظة، وتمسكهم بالعودة إلى ديارهم حسب قرار مجلس الأمن ١٩٤ كحد أدنى، فإن بعض الأوساط اللبنانية تحمّل الفلسطينيين المسؤولية عن توطينهم في لبنان. وتتحدث عنهم بشكل عنصري غير موضوعي دون أن تحمل هذه المسؤولية لإسرائيل الرافضة لعودتهم إلى ديارهم بمساندة الولايات المتحدة الأمريكية. والمسؤولة أصلاً عن رغبتها بتهجير الفلسطينيين إلى البرازيل والأرجنتين وأميركا وكندا وأستراليا ودول أوروبا وبعض الدول العربية. وتتم هذه الدعوة التهجيرية إلى المنافي دون نطق أي كلمة حول حق العودة إلى فلسطين.

ويتحدث بعض الخبراء الفلسطينيين أن عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم ممكنة من الناحية الديمغرافية. ذلك لأن الجليل في شمال فلسطين فيه نسبة سكان يهود قليلة لأنهم يتجمعون منذ ١٩٤٨ في الشريط الساحلي بين تل أبيب وحيفا والمدن. فإذا عاد لاجئو لبنان وسوريا إلى الجليل فإن النسبة السكانية لن تزيد عن النسبة السكانية في الشريط الساحلي بين تل أبيب وحيفا.

أما سكان غزة من اللاجئين الذين قدموا من النقب الشبه خالي من السكان فستكون عودتهم إلى ديارهم ممكنة دون أي أزمة في تكدس السكان كما تدعي بعض الأوساط المؤيدة للحركة الصهيونية بالقول أن عودة اللاجئين مستحيلة لأن فلسطين لاتتسع للشعبين الفلسطيني و«اليهودي».

ولذلك فإن المطلوب من هذه الأوساط اللبنانية أن تتعاون مع الفلسطينيين في العمل والضغط والإصرار على عودة اللاجئين إلى ديارهم بدلاً من الدعوة لتهجيرهم خارج لبنان بحجة عدم قدرته على الإستيعاب والإخلال بالتوازن الطائفي.

أوضاع الفلسطينيين في لبنان:

كان الفلسطينيون في الثمانينات يعيشون في خمسة عشر مخيماً موزعة على كل المحافظات اللبنانية. دمر ثلاثة من هذه المخيمات تدميراً كاملاً هي: مخيم النبطية، الذين دمرته الطائرات الإسرائيلية عام ١٩٧٤، ومخيمي تل الزعتر وجسر الباشا الذين دمرا وجرفا أثناء الحرب الأهلية عام ١٩٧٦ وبقي ١٢ مخيماً، بالإضافة إلى عدد من التجمعات الفلسطينية الشبيهة بالمخيمات. ويعيش الباقي في بعض القرى والمدن اللبنانية.

يبلغ عدد الفلسطينيين في لبنان، حسب إحصاء الأنروا أواخر عام ١٩٩٨ حوالي (٣٦٧،٦١٠) نسمة. لكن العدد الحقيقي لايصل إلى أكثر من ١٧٥ ألف نسمة على الأكثر بسبب الهجرة إلى خارج لبنان وخاصة الدول الأوروبية.

يعيش الفلسطينيون أوضاعاً اقتصادية غاية في السوء. فالأونروا قلصت خدماتها الإغاثية والصحية والتربوية إلى أقل من الحد الأدنى بحجة العجز في الميزانية. واكتفت بتوزيع هذه الإعاشات على الأسر التي تعيش تحت خط الفقر والتي لاتجد ما تأكله.

أما خدماتها الصحية فقد تقلصت إلى حد تخصيص طبيب واحد لكل ستة عشر ألف فلسطيني في عيادات المخيمات وألغت تطبيب من تجاوزوا الستين من العمر، مع أنهم أحوج الناس إلى الرعاية الصحية. وألغت تطبيب مرضى القلب والسرطان وغسل الكلى وعمليات

القلب المفتوح وغيرها من الأمراض المستعصية. وقد وصل الأمر بأحد الفلسطينيين إلى عرض ابنه ذي الثماني سنوات للبيع ليعالج والده.

أما مؤسسات م.ت.ف فقد قلصت خدماتها وبعضها أغلق كمؤسسة صامد التي كانت تشغّل أكثر من خمسة آلاف عامل فلسطيني يعيلون خمسة آلاف عائلة. ومستشفيات جمعية الهلال الأحمر التي قُطعت عنها الميزانية، اضطرت إلى تقاضي أموال من المرضى لقاء الكشف الطبي دون أن تستطيع تقديم الأدوية.

أما «مؤسسة الشؤون الاجتماعية لرعاية أسر الشهداء والجرحى والمعتقلين» والتي تشرف على حوالي خمسة عشر ألف أسرة شهيد، فإن ما تقدمه لهذه الأسرة لايكفي ثمن خبز.

وفيما يتعلق بعمل الفلسطينيين في لبنان، فإن حكومة الرئيس أمين الجميل حرمت الفلسطينيين من العمل في خمس وستين مهنة حسب قرار وزير العمل والشؤون الاجتماعية «عدنان مروة» رقم ٢٨٩ بتاريخ ١٢/١٨/ ١٩٨٢. ولايزال هذا القرار ساري المفعول حتى الآن. بالإضافة إلى أن الفلسطيني محروم من الضمان العائلي والتعويض العائلي والصحي والاجتماعي، على الرغم من أن صاحب العمل يحسم من راتب الفلسطيني قيمة هذا الضمان.

الحقوق المدنية والاجتماعية للفلسطينيين في لبنان:

تمتنع السلطات اللبنانية عن منح الفلسطينيين معظم حقوقهم التي تتلخص: بحق الإقامة والتنقل والعمل، والتعليم المهني وإقامة المؤسسات والانتساب إلى المؤسسات النقابية اللبنانية، وإعمار المخيمات وحل مشكلة المهجرين والحريات الديمقراطية، وحق الاحتفاظ بالجنسية الفلسطينية إذا حصل على جنسية أخرى. وسنحصر حديثنا عن حق العمل والإعمار والحصول على جنسية أخرى، نظراً لضيق المجال.

تتذرع الحكومات اللبنانية المتعاقبة بحرمان الفلسطيني من حق العمل بعدة ذرائع واهية ومبررات منها: «مزاحمة الأيدي العاملة اللبنانية» علماً أن عدد العمال الأجانب غير العرب من أسيويين وأفارقة الذين يعملون في لبنان أصبح أضعاف عدد الفلسطينيين.

ومن الحجج أيضاً عدم توفر مبدأ «المعاملة بالمثل» بالنسبة للفلسطينيين. والواقع أن هذه الحجة واهية لأن دستور فلسطين في عهد الانتداب البريطاني بتاريخ ١٩٢٢/٨/١٠ يعامل اللبناني كالفلسطيني تماماً وكذلك مواطني الدول العربية الأخرى بالنسبة للعمل



مخيم عين الحلوة

والتنقل والإقامة والضمان الاجتماعي والصحي. فالمادة التاسعة والخمسون من هذا الدستور تنص على «تعني لفظة أجنبي أحد رعايا الدولة الأوروبية أو الأمريكية، أو دول مثل اليابان. ولكنها (أي لفظة أجنبي) لاتشمل الأهالي الأصليين لبلاد موضوعة تحت حماية دولة أوروبية، أو تحت انتداب دولة أوروبية». ولبنان الذي كان تحت الانتداب الفرنسي لاتشمله لفظة الأجنبي، بل يعتبر رعاياه كالرعايا الفلسطينيين في الحقوق والواجبات.

ويستمد الفلسطينيون حقهم بالعمل في لبنان من:

١) اتفاقية جنيف بتاريخ ١٩٥١/٧/٢٤ التي تنص في مادتها ٢٤ على:

«إعطاء اللاجئين المقيمين حق الاستفادة من الامتيازات التي يستفيد منها الرعايا الوطنيون، كالعمل، والأجور، والتقديمات العائلية ومدة العمل والساعات الإضافية والضمان الصحي والاجتماعي وغيرها». وقد وقع لبنان على هذه الوثيقة.

٢) بروتوكول الدار البيضاء. حيث قرر مؤتمر القمة العربي المنعقد في الدار البيضاء بين ١٣-١٧ أيلول ١٩٦٥ القرار التالي نصه:

«يعامل الفلسطينيون في الدول العربية التي يقيمون فيها معاملة رعايا الدولة العربية في سفرهم وإقامتهم وتيسير فرص العمل لهم، مع احتفاظهم بجنسيتهم الفلسطينية». وقد وقع الرئيس اللبناني آنذاك شارل حلو على هذا البروتوكول.

٣) القانون اللبناني: نصت المادة التاسعة من الفقرة الثالثة بند ٢ من قانون الضمان الاجتماعي، بالنسبة للأجانب، الصادر عن الحكومة اللبنانية بتاريخ ١٩٦٣/٩/٢٦ على:

«يستفيد الأجَرَاءُ الأجانب من التقديمات المنصوص عليها في قانون الضمان الاجتماعي، شرط أن يكونوا حائزين على إجازة عمل، وفق القوانين والأنظمة المرعية، وأن تكون المساواة في المعاملة مع رعاياها فيما يتعلق بالضمان الاجتماعي».

وتعتبر الحكومة اللبنانية الفلسطينيين من الأجانب لكنها تحرمهم من امتيازات الأجانب حتى لو حصلوا على إجازة عمل وحسم من راتبهم قيمة الضمان الاجتماعي فإنهم لايحصلون عليه. هذا ما يتعلق بالعمل.

أما فيما يتعلق بالإعمار فإنه يمنع منعاً باتاً الإعمار في مخيمات صور وتجمعاتها الفلسطينية. وكل من يحاول أن يدخل مواد إعمار أو ما يتعلق بها كالمسامير والأنابيب والحنفيات والزجاج والاسمنت يقدم إلى المحاكمة في محكمة صور بتهمة إدخال مواد إعمار إلى المخيمات.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السلطات اللبنانية شطبت قيود أكثر من ٢٥ ألف فلسطيني من سجلاتها ممن حصلوا على جنسية من أحد بلدان أوروبا كما صادرت وثائق سفرهم. وهذا الإجراء مخالف للقرار رقم (٢٦٠٠) الصادر في الدورة الثالثة والتسعين لمجلس جامعة الدول العربية بتاريخ ٣/١١/ ١٩٧٠ في مؤتمر المشرفين على شؤون اللاجئين الفلسطينيين والذي ينص:

«ان اكتساب بعض الفلسطينيين جنسية أخرى لايجردهم من جنسيتهم الفلسطينية، ولايسقطها عنهم، ولا يعفيهم من التزاماتهم نحوها. لذلك يقر المؤتمر بعدم اتخاذ اكتساب جنسية أخرى مبرراً للحذف من سجلات الفلسطينيين، تأكيداً للشخصية الفلسطينية، والكيان السياسي».

فهل لشطب القيود ومنع الإعمار ومنع السماح بالعمل وكتم أنفاس الفلسطينيين علاقة بتهجيرهم إلى أرض الله الواسعة ■■

ندوة سياسية في مخيم اليرموك عن الحوار الوطني الشامل

أقامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - فرع سوريا - ندوة سياسية تحت عنوان: «الحوار الوطني الشامل وانعكاساته على الصعيدين الفلسطيني والعربي»، في قاعة الشهيد غسان كنفاني بمخيم اليرموك، مساء يوم الخميس الموافق ١٤/١٠/١٩٩٩م، تحدث فيها الرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي للجبهة مسؤول دائرة العلاقات السياسية.

حضر الندوة الرفيق إيهاب يونس عضو اللجنة المركزية العامة للجبهة مسؤول فرع سوريا وعدد من كوادر وأعضاء الجبهة، وممثلي بعض الفعاليات السياسية والنقابية والجماهيرية في مخيم اليرموك، وقد استهل عريف الندوة الرفيق أبو لؤي عضو قيادة فرع سوريا بتقديم مقطع من قصيدة شعرية وتحدث عن أهمية الحوار الوطني ودلالاته في المرحلة الراهنة، ثم ألقى الرفيق أبو أحمد فؤاد مداخلته قائلاً: السؤال الذي أبدأ به حديثي هو لماذا الحوار؟ ولماذا اختارت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد هذه السنوات الطويلة من القطيعة مع الفريق الآخر، الحوار في هذه اللحظة السياسية. فالتطورات والمستجدات السياسية التي برزت في الأشهر القليلة الماضية، وأبرز حدث كان مجيء حزب العمل للحكم في إسرائيل وهو حدث نوعي ومستجد سياسي، لأن هذا التغيير الذي حصل في هذا الكيان له معنى وتأثيرات على المستوى الدولي والعربي والفلسطيني، الأمر الذي استدعى أن تقف الهيئات المركزية للجبهة بعمق ومسؤولية أمام هذاالتغير السياسي لتقول ما العمل في المرحلة القادمة.. والكل يعرف أن هناك أوهاماً لدى الفريق الفلسطيني المسمى بفريق أوسلو وكذلك لدى بعض العرب أوهام بأن المشكلة في التسوية السياسية كانت بوجود نتنياهو وفريقه وأن مجيء باراك سيؤدي إلى حلول ربما تخدم بشكل أو بآخر المصلحة الوطنية الفلسطينية، ونحن في الجبهة الشعبية لم نرَ في يوم من الأيام أن هناك فرقاً أساسياً وجوهرياً بين العمل والليكود فيما يخص القضايا الرئيسية المتعلقة بالصراع العربي الصهيوني وبشكل خاص المتعلقة بالقضية الوطنية الفلسطينية، لكن مثل هذه الأوهام الموجودة لدى بعض العرب وبعض الفلسطينيين والرأي العام العالمي.. ستترك بشكل أو بآخر أثرها على مسار التسوية.

واستكمل الرفيق أبو أحمد حديثه عن الحوار قائلاً:

إن الهدف الرئيسي للحوار الذي دعت إليه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تحدد بالتالي:

أولاً: إعادة بناء مؤسسات م.ت.ف على أسس ديمقراطية.

ثانياً: الحوار الثنائي هو خطوة على طريق الحوار الوطني الشامل والمنشود في الساحة الفلسطينية بمعنى تصحيح أوضاع المنظمة، ونحن خطونا هذه الخطوة لنؤكد بأن الجميع معني في هذه المرحلة بإعادة بناء م.ت.ف، وأن هذه القضية هي قضية جوهرية في ظل الظروف الراهنة والصعبة وحتى لاتصبح مقولة إعادة بناء المنظمة على أسس ديمقراطية مقولة عامة.. نحن حددنا ذلك عبر أوراق عمل وقدمناها للحوار مع الفريق الآخر ووزعت ونشرت مؤخراً في مجلة «الهدف»، والتي أوضحنا فيها موقفنا ورأينا في هذا الموضوع الهام والتي يجب أن تناقش في هذه المرحلة ويحدد منها مواقف واضحة من قبل الجميع، وبدأ الحوار كما يعرف الجميع في القاهرة ثم استكمل في عمان، وصدرت بيانات مشتركة عن نتائج هذا الحوار، وقراءة نصوص وبيانات هذا الحوار جيدة من الناحية النظرية.. لكن هناك فرقاً كبيراً بين الموافقة النظرية على الخطوط العامة للحوار وبين الممارسة العملية لترجمة هذه السياسة المتفق عليها. وهي المحك العملي لنجاح هذا الحوار الذي نطمح بأن يكون شاملاً للجميع.

وأضاف الرفيق أبو أحمد قائلاً:

ومن أهداف هذا الحوار إعادة انتخاب مجلس وطني فلسطيني جديد يمثل الشعب الفلسطيني بشكل حقيقي وديمقراطي، والسؤال هنا: هل هناك إمكانية لانتخاب مجلس وطني فلسطيني في كافة التجمعات الفلسطينية؟ نحن نقول.. يوجد إمكانية لذلك ماعدا بعض المناطق التي توجد فيها بعض الصعوبات والتعقيد خاصة في دول الطوق مثل: (سوريا ولبنان والأردن) أما الحديث الذي يدور حول الجبهة بأنها ذهبت للحوار بهدف حل مشكلتها المالية أو ما يسمى (بالضائقة المالية)، أو من أجل مصلحة ذاتية الخ، نحن نقول بأن هذا الكلام غير صحيح، لأن الجبهة الشعبية أكبر من ذلك بكثير ولايمكن أن تنظر للمسألة بهذا الضيق.

وعن موضوع الديمقراطية داخل الجبهة الشعبية قال الرفيق أبو أحمد: إن الجبهة يوجد فيها مؤسسات وهي التي تقرر وهناك أغلبية وأقلية والأغلبية هي التي تقرر بشكل ديمقراطي، وهناك أمثلة كثيرة على موضوع الديمقراطية داخل الجبهة، وخاصة موضوع جلسة الحوار الوطني لعام ٩٧م بخصوص اجتماع المجلس الوطني، وبعد ذلك الدعوة لحضور المجلس المركزي الخ..

وعن المشاريع المطروحة.. قال الرفيق أبو أحمد: هناك المشروع الأمريكي - الإسرائيلي (مشروع نتنياهو) وهو حكم ذاتي موسع، أما المشروع الثاني، هو (مشروع كونفدرالية فلسطينية - أردنية - إسرائيلية)، وهناك المشروع الآخر الوطني وهو مشروع الدولة الوطنية المستقلة. وهو مشروع وطني يوجد عليه إجماع فلسطيني، وهذا ما نطمح إلى تحقيقه.

وبالنسبة لموضوع المفاوضات النهائية.. أو ما يسمى بقضايا الحل النهائي مثل: (السيادة والقدس واللاجئين والحدود الخ) هي قضايا شائكة ومعقدة وتحتاج إلى جهد كبير وتحتاج إلى نضال طويل وشاق.. وماقمنا به في موضوع الحوار الوطني مع حركة «فتح»، هو محاولة جادة ومسؤولة بهدف منع الانهيار السياسي ومنع التصفية.

وعن المعارضة الفلسطينية: تحدث الرفيق أبو أحمد قائلاً: إن ما تطرحه المعارضة الفلسطينية سياسياً على حق سواء ما يتعلق باتفاق أوسلو وواي ريفر وتبعاتها الخ.. نحن مع المعارضة من هذه الزاوية.. فالذي حصل بأن المعارضة في البداية كانت تسير بشكل جيد.. لكن المعارضة لم تطور نفسها وأساليب عملها من خلال برنامج سياسي فعال ولم تعمل المعارضة بشكل موحد.. ووجدت الجبهة صعوبة لإيجاد صيغة عمل موحدة لقوى المعارضة الفلسطينية طوال السنوات الماضية.. أي بمعنى أن المعارضة كانت غير فعالة وغير متفقة على صيغة موحدة، وتطرق الرفيق أبو أحمد لموضوع العمل من خلال «لجنة المتابعة»، والثغرات التي انتابت طريقة عملها السياسي.

وختم الرفيق أبو أحمد فؤاد حديثه قائلاً: بأن الجبهة الشعبية ستبقى قوة سياسية مكافحة ومناضلة تسعى لتحقيق أهدافنا النبيلة ولن تتراجع عن ثوابتها الوطنية.. كما أن الجبهة لن تشارك في مؤسسات السلطة الفلسطينية، والجبهة لن تشارك في مفاوضات الوضع النهائي لأنها مبنية على أساس اتفاقات أوسلو التي ترفضها الجبهة.

وفي ختام الندوة فتح المجال للحوار والأسئلة والمداخلات من الأخوة الحضور والتي كانت معظمها تدور حول موضوع الحوار ومدلولاته وأبعاده السياسية ومدى جدواه في هذه المرحلة.. مااضفى على الندوة شيئاً من الحيوية وأغناها ■■

مهرجان خطابي في مخيم اليرموك

لمناسبة الذكرى الرابعة لاستشهاد القائد فتحي الشقاقي

بدعوة من اللجنة الوطنية العليا للمتابعة وحركة الجهاد الإسلامي وآل الشهيد أقيم مهرجان خطابي في الذكرى الرابعة على استشهاد القائد المناضل الدكتور فتحي الشقاقي في مخيم اليرموك بدمشق مساء يوم الجمعة الموافق ٢٩/١٠/١٩٩٩م.

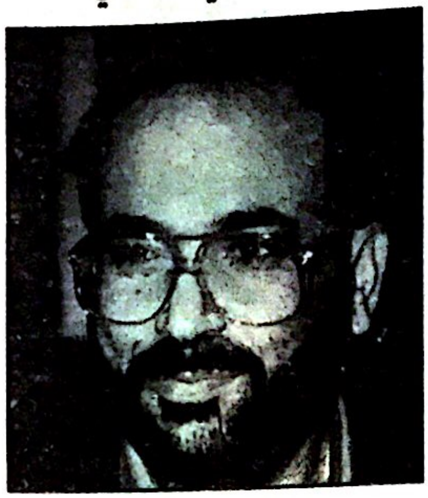
أقيم المهرجان تحت شعار: «جهادنا مستمر حتى تفكيك المشروع الصهيوني»، وقد حضر المهرجان عدد من قادة الفصائل الفلسطينية وممثلي حركات التحرر العربية وسفير إيران في دمشق وعدد كبير من كوادر وأعضاء المقاومة الفلسطينية وحشد غفير من الجماهير في مخيم اليرموك.

وقد ألقيت في المهرجان عدة كلمات احتفاء بهذه المناسبة، أكدت جميعها على مواصلة النضال حتى تحقيق أهداف الشعب الفلسطيني كاملة غير منقوصة. و أولى هذه الكلمات كانت:

كلمة اللجنة الوطنية العليا للمتابعة ألقاها الدكتور طلال ناجي، الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة حيث بدأها بالحديث عن الروح الكفاحية العالية للشهيد المناضل فتحي الشقاقي، وقال: أننا في كل يوم نفتقد هذا القائد الكبير والذي أصبح رمزا من أبرز قادة الشعب الفلسطيني، ثم أضاف: محزن ما يجري الآن في داخل الوطن، لقد أوصلونا إلى قضايا الحل الدائم.. ونحن نشهد كل يوم المزيد من التنازلات التي تقدمها السلطة الفلسطينية لصالح العدو الصهيوني.. بدءاً من اتفاقات أوسلو ومرورا اتفاق الخليل وواي ريفر وانتهاءً بشرم الشيخ.

بعد ذلك كانت كلمة الجمهورية الإيرانية ألقاها سفيرها في دمشق سماحة السيد حسين شيخ الإسلام حيث قال: إنه لمن دواعي فخري واعتزازي أن أقف اليوم لأتحدث معكم في ذكرى رمز كبير هو المناضل الشهيد فتحي الشقاقي، فباسمي وباسم القيادة الإيرانية نقدم التحية لروح هذا المناضل الكبير، كما نؤكد على الموقف المبدئي والثابت لايران إزاء قضية فلسطين وشعبها المكافح، كما ونؤكد موقفنا الثابت ضد الاتفاقات الاستسلامية المتمثلة باتفاقات أوسلو وتبعاتها المفرطة بحقوق الشعب الفلسطيني، هذه الاتفاقات التي تحقق مصالح الكتلة السرطانية إسرائيل والتي يدعمها الشيطان الأكبر أمريكا، فعملية تحرير فلسطين والمقدسات الإسلامية هي مسؤولية العالم الإسلامي جميعاً وليس الشعب الفلسطيني فقط.

ثم تبعها كلمة حزب الله ألقاها سماحة الشيخ حسن نصر الله أمين عام حزب الله في لبنان، حيث بدأ الشيخ حسن نصر الله حديثه بتقديم التعازي لآل الشهيد فتحي الشقاقي (أبو إبراهيم) وإلى حركة الجهاد الإسلامي وأمينها العام الدكتور رمضان عبد الله وإلى كل الشعب الفلسطيني المجاهد وقال: إن فتحي الشقاقي في قلب الشعب الفلسطيني كما هو الشهيد عباس الموسوي في قلب الشعب اللبناني، وأضاف: ليس بالفكرة وحدها نستمر وليس بفعل الإيمان وحده تستمر المقاومة، تستمر المقاومة فقط بفعل الشهداء وبتضحيتهم وعطائهم المستمر، هذه



هي القيمة الحقيقية للشهادة. وقال: ما كان لإسرائيل أن تستمر لولا دعم قوى الاستكبار وعلى رأسها أميركا لأن إسرائيل تمثل حاجة أساسية لقوى الاستعمار والاستكبار في منطقتنا العربية.

وختم حديثه بالقول بأن خيار فتحي الشقاقي هو الجهاد والاستشهاد وهذا هو السبيل الوحيد لاستعادة الحقوق المغتصبة وليس المفاوضات والتنازلات.

أما كلمة حركة المقاومة الإسلامية «حماس» ألقاها الدكتور موسى أبو مرزوق عضو مكتبها السياسي

لقد بدأ الدكتور أبو مرزوق حديثه بتعزية (أم إبراهيم) زوجة الشهيد فتحي الشقاقي وقال: بأن الشعب الفلسطيني كله يقف أمام هذه النماذج المكافحة نموذج الشهيد القائد فتحي الشقاقي، ففتحي الشقاقي لازالت ذكراه معناتعيش في قلوبنا ووجداننا ودمنا وضمائرنا، وأضاف: إن الوهم الذي تعيشه اليوم السلطة الفلسطينية لن يستمر طويلاً، و يأتي اليوم الذي يندمون فيه على تلك التنازلات التي يقدموها للعدو الصهيوني والتحالف معه.

وأولئك الذين أدخلوا إلى السجن خالد مشعل وإبراهيم نزال المعتقلون في السجون الأردنية نقول للجميع أنه لن يخرج هؤلاء المناضلون إلا إلى شعبهم في الأردن ولن يغادروا إلى المنفى أو إلى الخارج ولن نقبل بأي شيء غير ذلك، وهدف النظام في الأردن أن يفصل بين نضال الشعب الفلسطيني وشعب الأردن من أجل عملية التوطين.

أما الكلمة الختامية فكانت كلمة الجهاد الإسلامي التي ألقاها أمينها العام الدكتور رمضان عبد الله

بدأ الدكتور رمضان حديثه بالقول: إن مرور (٤) سنوات على رصاصات الغدر في مالطا والتي استشهد جراءها المناضل فتحي الشقاقي، لن تجعلنا نستسلم، لقد غادرنا فتحي الشقاقي، هذا الكتاب المفتوح على المدى وصولاً إلى الشهادة في سبيل الله، فنحن للاسف لم نستوعب الدرس، درس الشهادة والمثل الحي للجهاد والكفاح والإيمان.

إن العرب لم يتخلوا عنا يوماً، فليس تحت حجة القرار المستقل نتخاذل ونستسلم للعدو الصهيوني.

رسالة إلى اللاجئين الفلسطينيين

حيدر عيد

تهانينا. فقد عزم الناتو على وقف المعاملة اللاإنسانية التي يتعرض لها اللاجئون الألبان.

نعم، هذا يعني أن الناتو عازم على تحمل المزيد من المسؤولية لإعادة جميع اللاجئين إلى أوطانهم. وبما أنكم انتظرتم ٥١ عاماً تعيشون تحت ظروف مريعة وبما أن الأمم المتحدة أقرت حقكم في العودة، فإن ذلك يعني أن أعضاء الناتو سوف يشنون «الحرب التقدمية»، بكلمات توني بلير لإعادتكم إلى فلسطين، لامزيد من النفاق، لامخيمات جديدة، لا «تجاوزات خاصة»، لا «وثائق سفر»، ولا «تعذيب قانوني»، ولا مزيد من الفقر والإغلاقات والبطالة.

أعضاء الناتو، بقيادة الرئيس الأمريكي الليبرالي، أكدوا على مسؤوليتهم في النضال ضد الصرب لحماية اللاجئين الألبان، وقصفوا يوغسلافيا من أجل إعادتهم. ولن يكون ممكناً للصرب وديكتاتورهم النجاة بالجريمة.

أنتم الآن في أحسن وضع: مقتلعون منذ ١٩٤٨ على عكس الألبان لستم مجرد مسلمين بل مسيحيين أيضاً، وتعرضتم لعدة مذابح، وهكذا: لماذا لاتثقون بالناتو. بالأمس دافعوا عن حق الأكراد بالعودة إلى شمال العراق حتى انهم قصفوا بغداد وقتلوا عدداً من العراقيين لتمكين اللاجئين الأكراد من العودة، واليوم حربهم الجوية في كوسوفو. ليس لديكم أي سبب لكي لاتحتفلوا بذات الطريقة كما فعلتم عند زيارة الرئيس الأمريكي إلى غزة. حضروا مفاتيحكم التي احتفظتم بها طيلة الـ ٥١ عاماً، وحضروا أوراق الطابو التي تثبت ملكيتكم للارض التي طردتم عنها وتهيؤوا للكشف عن الفظائع التي اقترفت ضدكم - جميعها، طبعاً بمساعدة قوات الناتو.

القوة الجبارة لقوات الدفاع الإسرائيلية لن تكون قادرة على قتال الناتو وقوات الدفاع الإسرائيلية لن تتمكن من قصف مخيماتكم في لبنان، السبب بسيط جداً. لن يكون هناك مخيمات لاجئين بعد اليوم.

وسوف يعلن عن الجنود والجنرالات الإسرائيليين كمجرمي حرب بسبب حملات التطهير العرقي التي شنوها ضدكم. سوف تتدفقون إلى الشوارع بالورود لترحبوا بمحرريكم وتصبحوا مواطنين وليس لاجئين.

شكراً للنظام العالمي الجديد وللعم سام. أيها اللاجئون الفلسطينيون.. تهانينا..

ترجمة: بسمة شاهين

الانقلاب العسكري في باكستان:

ليس من السهل على الجنرالات خلع بزاتهم

د. محمد أبو ناموس

يلعب العسكر دوراً أساسياً في سياسة دول العالم الثالث، فعندما يتم التفكير بتهميشهم والتدخل في شؤونهم ومحاولة زرع الفتنة بين صفوفهم، لاستبعادهم عن السلطة ومركز القرار ليتم إلحاقهم وجعلهم تابعين وموالين للنخبة المدنية الحاكمة، حين إذن يتم ارتداء البزات الخاكية المزركشة بالنياشين والأوسمة، وتزين الأكتاف بالنجوم اللامعة، وتُرتدى الخوذات وأحذية الميدان والتمنطق بالمسدسات وتقام الحواجز، وتنطلق العربات المصفحة مقتحمة مؤسسات السلطة المدنية... ماذا يحدث بعد

في الثاني عشر من الشهر الجاري، قام العسكر بانقلاب في باكستان بقيادة الجنرال برويز مشرف قائد الجيش، وهذا ليس بجديد في الحياة السياسية الباكستانية، فقد سبق أن وقعت عدة انقلابات بدءاً من الانقلاب الذي قاده الجنرال اسكندر ميرزا عام ١٩٥٨ ومن ثم الجنرال أيوب خان وانتهاء بانقلاب الجنرال ضياء الحق الذي لقى حتفه في حادث انفجار طائرته عام ١٩٨٨.

باكستان قبل الانقلاب: تعيش باكستان حالة ركود اقتصادي وتضخم مقترن بالفساد في أوساط النخبة الحاكمة وسياسة مالية متهورة.

تعرض الاقتصاد الباكستاني لهزة عنيفة عقب قيامها بإجراء التجارب النووية في العام الماضي كما أن البنوك تعاني من حالة تضخم لأن القروض التي يحصل المسؤولون والمقربون عليها ولايتم ردها، إضافة إلى أن نظام الضرائب يُفرض بشكل غير عادل ومرتفع. كل هذا أدى إلى أن يكون متوسط دخل الفرد من أدنى المستويات في العالم.

يعيش أغلبية الشعب الباكستاني حالة العوز والفقر وعدم توفر الرعاية الصحية، فالنسبة الكبيرة من الأطفال لايجدون العلاج ولاتتوفر لهم فرصة التعليم، حيث تبلغ نسبة الأمية من الشعب الباكستاني ٧٠٪ وتصل بين النساء إلى ٨٥% أما النمو السكاني تصل



نسبته إلى ٣٪ سنوياً، إضافة إلى الصراع الطائفي الذي تكتوي به البلاد والمخدرات التي تجد طريقها إلى باكستان عبر البلدان المجاورة وتحديداً أفغانستان.

علاقات باكستان الاقليمية:

اتسمت العلاقة مع الهند بمرارة الصراع الدائم منذ خمسين عاماً حول قضية كشمير دون أن تجد لها حلاً، مما لعب دوراً مهماً في زيادة التوتر بين الهند وباكستان وبقاء التنافس المزمن يأخذ طابعاً عدائياً بين الدولتين. إضافة إلى المشاكل الأثنية والعرقية والدينية الموجودة داخل البلدين.

أما العلاقة مع إيران فقد اتسمت بالتنافس فيما يخص أفغانستان والنزاع الدموي الدائر فيها منذ عام ١٩٧٨، فبينما كانت باكستان تأوي تحالف المعارضة الأفغانية البشتونية ذات الأغلبية السنية، فإن إيران تأوي المعارضة الأفغانية التاجيكية ذات الأغلبية الشيعية.

لكن العلاقة مع أفغانستان تحكمها مقولة تاريخية قديمة، مفادها أن أي استقرار في أفغانستان يعني عدم استقرار في باكستان وإيران.

فلهذا السبب وغيره الكثير الذي لايتسع له هذا المقال، يمكن أن نفسر طبيعة العلاقات الأفغانية الباكستانية وانعكاساتها على علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي السابق وروسيا حالياً وإيران.

لقد وقفت باكستان إلى جانب المعارضة الأفغانية بشكل عام ضد التواجد السوفياتي في أفغانستان، مما دفع الاتحاد السوفياتي السابق للنظر إلى باكستان بعدائية. وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي بقيت العلاقات الروسية الباكستانية مشوبة بالقلق والعذر، وتحديداً بعد سيطرة حركة طالبان الأفغانية على معظم الأراضي الأفغانية والتوجس من وصول نار الأصولية إلى القوقاز والجمهوريات السوفياتية السابقة المحاذية لأفغانستان فالسياسة الباكستانية اتجاه أفغانستان مربكة ومتناقضة، فمن طلب وزير الإعلام الباكستاني بمنح مقعد افغانستان في الأمم المتحدة الذي تشغله حكومة الرئيس الأفغاني المخلوع برهان الدين رباني إلى حركة طالبان، إضافة إلى ما تشير إليه بعض المصادر بأن هناك ما يقارب من ٢٥-٣٠ الف شخص هو حجم القوة الباكستانية التي تساند حركة طالبان أو التي يجمع المراقبون على أنها صنيعة العسكر في باكستان وتحديداً الاستخبارات العسكرية.

لكن باكستان تحاول جاهدة إبعاد هذه التهمة عنها بحجة أن هؤلاء الأشخاص ما هم إلا مجرد متطوعين في الجهاد. لكن المعارضة الأفغانية أثبتت عكس ذلك عندما طلبت من الصليب الأحمر الدولي لقاء الأسرى الباكستانيين لتأكيد تورط باكستان في المعارك التي دارت في مزار شريف في أكتوبر ١٩٩٧، وناشدت باكستان وقف مساعدتها لطالبان والكف عن التدخل في شؤون أفغانستان الداخلية واحترام علاقات حسن الجوار وهذا ما يفسر التشدد لحركة طالبان في مفاوضاتها مع المعارضة الأفغانية، لأن المتطرفين في المؤسسة العسكرية والأمنية وراء هذا التشدد.

إضافة إلى مقتل الدبلوماسيين الإيرانيين في مزار شريف، والمناورات العسكرية الإيرانية على الحدود الأفغانية الإيرانية، مما زاد من حدة التوتر بين البلدين.

أما العلاقات الباكستانية الأمريكية فقد تم قطع العلاقات العسكرية تقريباً معها بعد أن قال الرئيس الأمريكي جورج بوش بأنه لايستطيع التأكد بأن باكستان لاتملك سلاحاً

نووياً. وبعد التفجيرات النووية الهندية - الباكستانية وامتلاكهما لصواريخ متوسطة وبعيدة المدى قادرة على حمل رؤوس نووية، مما يهدد الأمن والاستقرار في شبه القارة الهندية. على إثر ذلك فرضت الولايات المتحدة الأمريكية عقوبات اقتصادية على باكستان في كل المجالات باستثناء المساعدات الإنسانية، مما انعكس سلباً على الاقتصاد الباكستاني لاعتماده على المساعدات الخارجية، وقد انتهجت حكومة نواز شريف سياسة متخبطة ولم تستطع إحتواء آثار العقوبات الدولية.

نواز شريف والسياسة الداخلية:

لقد عمل نواز شريف جاهداً بعد فوزه الكاسح في الانتخابات الباكستانية عام ١٩٩٧ للسيطرة على جميع مؤسسات الدولة ودخل في صراعات عديدة مع مؤسسة القضاء، الرئاسة ومحاولة وضع بعض التعديلات الدستورية بما يعطيه حرية أكبر في العمل السياسي بما يتماشى وتوجهاته الشخصية دون أن يكون له حسيب أو رقيب من المؤسسات الأخرى.

وقد صرح بهذا إعجاز الحق نائب رئيس حزب الرابطة الإسلامية الذي يتزعمه نواز شريف «انني أجد عذراً لتحرك الجيش لأن نواز شريف حاول شق المؤسسة العسكرية والتدخل في شؤونها». موضحاً أن شريف انتهج سياسات لامسؤولة قادت البلاد باتجاه الهاوية وأدخلتها في نكسات متوالية لن يغفر له الشعب واتهمه بالفردية في الحكم مطالباً بتنحيته من رئاسة الحزب وإجراء انتخابات جديدة.

ان الاتهامات الموجهة لنواز شريف كثيرة، حيث تقدر مصادر مطلعة في باكستان أن عدد المعينين في وظائف كبيرة في الدولة بحوالي ٥٠٠ شخص في الإقليم الشمالي الغربي فقط على أساس سياسي وعشائري وليس على أساس الأولوية والكفاءة.

كما وأن شريف قد عين ١٨ سفيراً معظمهم من أقاربه وأصدقائه والموالين له متجاهلاً اعتراضات وزارة الخارجية على كفاءة هؤلاء، حيث تم عزلهم بعد الانقلاب العسكري.

كما وأن هناك ٤١ شخصاً بلغت ديونهم ما يقارب ١٢٥ مليون دولار للدولة إضافة إلى أن هناك الديون الخارجية المتراكمة تجاوزت قيمتها ٣٢ مليار دولار والدولة عاجزة عن مواجهتها.

كل هذا وغيره نجم عنه علاقات سلبية ما بين الحكومة الباكستانية وغالبية الشعب الباكستاني فقد تم توجيه الانتقادات لأداء الحكومة في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية رغم هذا فلم تتم مكافحة الفساد، مما دفع الصحف المستقلة إلى القول بأن الانقلاب العسكري له ما يبرره لأن نواز شريف أصبح متسلطاً وغير ديمقراطي مما دعى بعض المحللين القول بأن رئيس الوزراء المخلوع كان يقود انقلاباً أبيض في باكستان، فكان لابد مما حصل والإطاحة بهذا الانقلاب للحفاظ على النظام العام الذي تم تفكيكه من قبل الديكتاتور المدني حسب بي نزير بوتو.

شريف والجيش:

إن الانقلاب العسكري ما هو إلا نتاج لصراع طويل بين المؤسسة العسكرية ونواز شريف، فالمؤسسة العسكرية التي تحداها وحاول تمزيق تركيبتها القيادية، بحجة إصلاحها وذلك من أجل التحكم بها والسيطرة عليها وضمان ولائها، كان لها دور أساسي وهام في إنشاء دولة باكستان وحمايتها، فقد خاضت حروباً ومواجهات عسكرية مع الهند في سبيل الحفاظ على بقائها، وهذا بدوره أعطى للمؤسسة العسكرية التي يعتبر قادتها من النخبة شرعية تاريخية وبالتالي فإن المساس بها يعتبر خطوطاً حمراء ومن المحرمات لايصح لأي كان تجاوزها.

فقادة هذه المؤسسة أعطوا الحق لأنفسهم التدخل المباشر في حلبة الصراعات السياسية في الفترات التي شعروا فيها بأن النخبة السياسية المدنية يمكن أن تلحق الضرر بالمصالح القومية فأكبر المحرمات التي ارتكبها شريف من وجهة نظر القيادة العسكرية هي إقالة قائد الجيش الجنرال برويز مشرف وهو في زيارة رسمية لسريلانكا وعدم السماح لطائرته بالهبوط في مطار كراتشي وعلى متنها ٢٠٠ راكب وليس بها وقود كفاية. فإن ثبتت هذه التهمة ولم تحصل أي تسوية بين شريف والجيش فقد توجه له تهمة الخيانة العظمى والتي يكون عقوبتها الإعدام.

إضافة إلى أزمةكشمير الأخيرة، حيث شعر العسكر أن قبول حكومة شريف للضغوطات الأمريكية قد أضاع فرصة ثمينة لربما تجد القضية الكشميرية طريقها للحل الدولي وهذا يخدم السياسة الباكستانية ويساهم في إيجاد حل لهذه القضية المستعصية. وهذا ما عمق الشرخ وزاد العلاقات توتراً مما يثبت أن الجيش كان له دور مباشر في عملية (كار جيل). أما إعلان لاهور بين رئيسي وزراء الهند وباكستان شملت وعداً بالتعاون والحوار بين الدولتين في كل الخلافات وفي مقدمتها مشكلة كشمير.

وفي البيان المشترك بين شريف وكلينتون بأن خطوات محددة سيتم اتخاذها لاستعادة خط التقسيم كما كان عليه طبقاً لاتفاقية «سملا» ١٩٧٢ بين الهند وباكستان، إضافة لذلك تضمن البيان طلب الرئيس الأمريكي إيقاف كل الأعمال القتالية فوراً بين الجانبين بمجرد اتخاذ هذه الخطوات السابق ذكرها. كل هذا زاد التوتر والخلاف بين شريف والعسكر.

التحديات التي تواجه الجنرالات:

تبدأ من محاربة الفساد، وإيجاد حل للأزمة الاقتصادية والحظر الشامل للتجارب النووية، الموقف من حركة طالبان، العلاقات الباكستانية الهندية وقضية كشمير، العلاقات الروسية الباكستانية والحؤول دون وصول مساعدات للمقاتلين الشيشان وفي المقدمة من هذا كله العلاقات الأمريكية الباكستانية، وعودة الحياة الديمقراطية بمعناها الحقيقي لباكستان.

كما أن هناك استحقاقات كثيرة أيضاً، فكما يبدو من تصريحات قائد الانقلاب بأنه برغماتي لكن هذا لايكفي دون خطوات عملية ملموسة.

فقد تعهد النظام العسكري لموسكو بالتصدي للجماعات الإسلامية الباكستانية المتطرفة التي يمكن أن تلتحق بالمقاتلين الشيشان وتزودهم بالأسلحة. كما أكد الانقلابيون على كبح الجماح في ما يتعلق بالمجال النووي وتخفيف حشد القوات الباكستانية على الحدود مع الهند من جانب واحد بهدف طمأنة واشنطن ونيودلهي.

كما أن على الجنرالات في باكستان العمل على نفي التهمة الموجهة لهم بمساندة حركة طالبان والضغط عليها لتسوية قضية أسامة بن لادن. لطمأنة إيران وواشنطن أيضاً. فبعض المصادر تشير إلى أن طالبان استطاعت اختراق واستمالة بعض الأوساط المتنفذة في المؤسسة العسكرية التي تقدم لها الدعم والتشجيع.

ولابد من التفكير في الانضمام إلى معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية حتى يمكن رفع العقوبات الدولية المفروضة عليها.

والآن وقد أعلن الانقلابيون التشكيلة الحكومية الجديدة، وتشكيل مجلس الأمن القومي وتاسيس تدابير ومعايير جديدة للتحقق من المسؤوليات في خطة لمواجهة الفساد وأعلن قائد الانقلاب أن مهمته تنتهي عندما تجري انتخابات جديدة لم يحدد لها زمان معين فهل تتحول الأقوال إلى أفعال. وتعود الباكستان إلى الحكم المدني في أقرب وقت ممكن وبذلك تتكرر تجربة الجنرال سوار الذهب في السودان؟

لاشك أن معالجة ومواجهة المشاكل والتحديات التي تواجهها الباكستان على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لايمكن أن تتم إلا من خلال ترسيخ الديمقراطية والعودة للحياة المدنية ■■

هل تعود روسيا للغوص مجدداً في المستنقع الشيشاني..؟

عصام سلامة

دخلت الحرب الروسية في الشيشان فصلاً جديداً ونوعياً، عندما أعلن القادة الروس مؤخراً أنهم بدؤوا في تنفيذ «المرحلة الثانية» لحملتهم العسكرية التي تدخل شهرها الثالث مع مطلع هذا الشهر تشرين ثاني (نوفمبر) ٩٩م، حيث وصلت القوات الروسية إلى ضواحي «غروزني» عاصمة الشيشان، في محاولة لفرض الحصار الشامل وإحكام السيطرة عليها، تمهيداً ربما لاقتحامها، الأمر الذي جعل «غروزني» تعيش منذ ما يقارب الأسبوعين بدون خدمات الماء والكهرباء والغاز، بعد أن قطعت روسيا عليها إمدادات الطاقة والوقود، في نفس الوقت الذي ازدادت فيه موجة الاستياء الشعبي والدولي على استمرار القتال في الشيشان، خاصة بعد ارتفاع عدد الضحايا المدنيين جراء مأساة «سوق غروزني» الذي راح ضحيته (٢٨٢) قتيلاً و(٤٠٠) جريح معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال (حسب مصادر الحكومة الشيشانية) ليتعمق بذلك المأزق الروسي وتتضاعف الضغوط الدولية على الحكومة الروسية لإنهاء النزاع بالطرق السلمية عبر التفاوض مع رئيس الحكومة الشيشانية أصلان مسخادوف.

يترافق ذلك مع اقتراب استحقاق الانتخابات البرلمانية الروسية (مجلس الدوما) المقرة نهاية هذا العام وكذلك الانتخابات الرئاسية المتوقعة في منتصف العام القادم، في الوقت الذي تعاني فيه روسيا من الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتفاقمة والمتمثلة بالديون الخارجية والفقر والبطالة والفساد والفضائح المالية التي طالت ساسة الكرملين أنفسهم.

ورغم هذه الأزمات المستعصية والتي تنخر عظام المجتمع الروسي وتهدد مستقبله السياسي، إلا أن القوات العسكرية الروسية والاتحادية تمكنت من تحقيق بعض النجاحات على الجماعات (الإسلامية) الانفصالية التي تمكنت من احتلال بعض القرى في داغستان لبعض الوقت في شهر آب (أغسطس) الماضي، والتي كانت تنوي إقامة «جمهورية إسلامية» على جزء من أراضي روسيا الاتحادية، الأمر الذي استدعى بأن تقوم القوات الروسية والاتحادية بالتصدي لها، وتمكنت أخيراً من طردها من داغستان وقتلت العديد من أفرادها ولم تكتفِ بذلك، بل لاحقت فلولها إلى داخل الأراضي الشيشانية، وحمّلت حكومة الشيشان المسؤولية كاملة في دعم وإيواء هذه المجموعات المسلحة الإنفصالية، التي نقلت حربها إلى قلب العاصمة الروسية موسكو وبعض المدن الروسية من خلال ما عرف بـ «حرب المتفجرات» والتي أودت بحياة ما يقارب الـ(٣٠٠) قتيل من المدنيين الأبرياء.. والتي كانت سبباً رئيسياً في شن الحملة العسكرية الروسية الأخيرة على الشيشان، والمستمرة حتى الآن بهدف القضاء على هذه المجموعات التي وصفتهم روسيا بالإرهابيين.

وقد سبق لروسيا أن اعترفت على مضض بحكومة الرئيس مسخادوف كحكومة شرعية للشيشان، عندما وقّعت معها اتفاق ٢٣ تشرين ثاني (نوفمبر) ٩٦م، ثم عادت وانقلبت عليها إبّان الأزمة الروسية التي حدثت بينهما منذ شهرين، حيث أعلن رئيس الوزراء الروسي بوتين: «أن روسيا لم تعد تعترف بحكومة غروزني، معتبراً أن الهيئة الشرعية الوحيدة في الشيشان هي البرلمان الذي كان منتخباً حتى العام ٩٦ »، والموجود حالياً في المنفى برئاسة إبراهيم سليمانوف المعروف بولائه لموسكو، وتعتزم روسيا حالياً تشكيل حكومة من أعضاء هذا البرلمان في شمال الشيشان، والتي أقامت فيها روسيا مؤخراً «حزاماً أمنياً» بهدف الضغط على حكومة غروزني وفرض شروطها عليها توطئة للإطاحة بها إذا لزم الأمر.

وتهدف روسيا من وراء ذلك إلى فرض طوق أمني حول غروزني وعزل الشيشان بهدف القضاء على مركز الانفصاليين (الإسلاميين) في الشيشان، وعدم تمددهم إلى الجمهوريات القوقازية المجاورة والتي يتمتع بعضها بحكم ذاتي ضمن روسيا الاتحادية، وبهذا تحول دون انفصال هذه الجمهوريات عن روسيا الأم، وذلك بحكم موقعها الاستراتيجي بالنسبة لروسيا وكذلك لامتلاكها للثروات المعدنية ومخزونها النفطي الهائل وخاصة نفط قزوين.

ومما لاشك فيه أن القيادة العسكرية الروسية قد استفادت في سياق استراتيجيتها العسكرية والتي تطبقها الآن في الشيشان، وخاصة اعتمادها مؤخراً «أسلوب الناتو» الذي استعمل في حرب البلقان ضد الصرب والمعتمد على القصف الجوي المستمر دون التوغل بالقوات البرية وذلك بهدف عدم التعرض لخسائر بشرية ومادية جسيمة.

ويجمع المحللون العسكريون على أن القوات الروسية لن تنفذ عمليات خاطفة على غرار ما حصل أثناء الحرب الشيشانية الأولى في أعوام (٩٤-٩٦)، عندما اقتحمت وحدة روسية غروزني، وحافت بها الهزيمة متكبدة خسائر فادحة آنذاك. ويرى بعض الخبراء العسكريين: بأن القوات الروسية ستتقدم هذه المرة «خطوة خطوة» لفرض سيطرتها على أكبر قدر ممكن من الأراضي الشيشانية، ومن ثم الدخول في مفاوضات مع الرئيس الشيشاني مسخادوف من موقع القوة، وأن المساومة ستتركز حول «تطهير» جمهورية الشيشان من المقاتلين «الإسلاميين» الانفصاليين مقابل إعادة الإعتراف بنظام الرئيس مسخادوف، وعلى ما يبدو فإن اقتحام غروزني وإن كان في خطط القيادة الروسية إلا أنه مشروع مؤجل حالياً على الأقل لحين الانتهاء من تثبيت واقع تقسيم جمهورية الشيشان.

ومع اقتراب فصل الشتاء القارص والذي يعني بالنسبة للقوات الروسية إطالة أمد الحرب وذلك لصعوبة ووعورة المناطق الشيشانية وهذا العامل ليس في مصلحة القوات الروسية، لجأت القوات الروسية في الأيام القليلة الماضية إلى استعمال سياسة «الأرض المحروقة» ضد الشيشان من خلال القصف الجوي والبري المستمر بجميع أنواع الأسلحة وضرب المنشآت المدنية والأبنية والجسور ومصافي النفط ومستودعات الوقود بهدف تحقيق انتصارات سريعة على الأرض.. إلا أن اتباع هذه السياسة سوف يزيد من استياء الرأي العام العالمي خاصة مع ارتفاع عدد الضحايا بين المدنيين والذي وصل حتى الآن إلى ما يقارب (٣) آلاف شخص وجرح ما يربو على (٥) آلاف آخرين (حسب بعض المصادر المطلعة)، وقد وصل عدد اللاجئين من الشيشان ما يقارب(١٩٠) ألف شخص لجؤوا إلى أنغوشيا المجاورة، واتهم الرئيس الشيشاني روسيا بشن حرب إبادة ضد الشعب الشيشاني، وهذا سوف يكون له تأثيراته على المستوى الدولي.. والذي يجعل من استمرار الخيار العسكري بالنسبة لروسيا أمراً محرجاً وصعباً ومكلفاً مادياً، فإن تكلفة «الحزام الأمني» فقط حول الشيشان والذي يبلغ طوله (٤٨٠) كيلومتراً تصل إلى (٣٥٠) مليون دولار هذا خلافاً لنفقات اللاجئين وأشياء أخرى كثيرة تتعلق بالحرب، وهذا الخيار ليس في مصلحة الشعبين الجارين لا الشعب الروسي ولا الشيشاني، فهي في النهاية على حساب قوتهم ومعيشتهم ولن يستفيد من هذه الحرب المدمرة سوى تجار وسماسرة الحروب. حتى أن معظم الدول الغربية وأمريكا نفسها التي تغض الطرف عن الحملة العسكرية الروسية ضد الشيشان تحت دعوى محاربة الإرهاب بدأت تطالب روسيا بوقف القتال واللجوء إلى الحل السلمي عبر التفاوض مع الحكومة الشيشانية وهذا ما صرّح به الرئيس الأمريكي كلينتون تحت دعوى المحافظة على حقوق الإنسان؟! والمخرج من هذه المشكلة لايكون بالخيار العسكري.. بل بالتفاوض والحل السلمي لأنه الخيار الأمثل لحقن دماء الشعبين الروسي والشيشاني ■■

قضايا ثقافية

«حتى الحرب لها حدود»

خمسون عاماً على اتفاقية جنيف

«حتى الحرب لها حدود»، هو عنوان معرض تشكيلي شارك فيه ثمانية عشر فناناً سورياً، برعاية الصليب الأحمر، وفكرة المعرض تقوم على توجيه صرخة تحذير، عبر الفن في وجه ويلات الحروب المدمّرة وبشاعتها التي ترمي بظلالها الثقيلة على حياة البشر.

بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه بمرارة: هل حقاً أن هذه الـ «حتى» موجودة على أرض الواقع؟

للأسف نقول: وذلك بغض النظر عن النوايا الإنسانية النبيلة التي يسوقها الأدب والفن في معرض دفاعه الصلب عن حياة البشر وأمنهم وسلامهم، أن خط الدم النازف من جرح البشرية مايزال يصبغ الكرة الأرضية بلونه الذي بات باهتاً لكثرة ما استبيح، وفي نظرة سريعة إلى أربعة أركان الأرض نرى هذه الحقيقة الصادمة، صارخة واضحة دون أية رتوش.

فالحروب في كل مكان.. والقتل الذي يمارسه الإنسان ضد أخيه الإنسان تترفع وحوش الغابة عن ممارسته ضد أبناء جنسها.

من الجزائر، إلى كوسوفو، إلى الشيشان، إلى أفغانستان إلى افريقيا.. فآسيا.. إلى العراق وجنوب لبنان وفلسطين (جرحنا الدائم).. وخيط الدم أطول من أن نحصره بحدود الجغرافيا.. أو التاريخ.

فأية رأفة إنسانية يشعر فيها الإنسان تجاه أخيه الإنسان الذي يستبيح دمه في كل لحظة؟!

هل يعني ما نقوله: أن لاجدوى من كلمة صادقة يقولها الفن أو الأدب في وجه طوفان الطغيان والحروب؟!

الأمر ليس كذلك تماماً، وإلا لكفّ منذ زمن الكتّاب والفنانون عن قول كلمتهم في وجه انفلات الوحشية التي تزرع الموت والقبح والرماد على سطح هذا الكوكب الجميل.

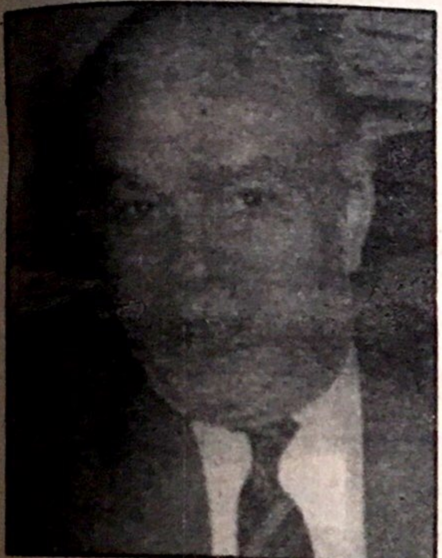
ما نود قوله: أن ثمة مسافة كبيرة ماتزال تفصل بين الإنسانية والوحشية رغم وقوفنا على عتبة الألفية الثالثة، وأمام الفن والأدب مساحات شاسعة عليه أن يجتازها دفاعاً عن الحق والجمال والإنسان.

الهدف الثقافي

المخرج مروان حداد مدير مهرجان دمشق السينمائي لـ "الهدف":

فلسطين حاضرة في هذه الدورة كعهدها في كل دورات مهرجان دمشق السينمائي

أجرى الحوار: علي الكردي



مع صدور هذا العدد من مجلتنا «الهدف» يكون مهرجان دمشق السينمائي بدورته الحادية عشرة قد انطلق بفعالياته المختلفة (عروض المسابقة الرسمية، التظاهرات الموازية، الندوات، المنشورات..) في هذا الحوار مع المخرج مروان حداد مدير عام المؤسسة العامة للسينما أثرنا العديد من القضايا الإشكالية الساخنة التي تتعلق بانتاج الفيلم السوري، ووضع السينما في سورية، ودور المؤسسة العامة للسينما التي تعرضت في الآونة الأخيرة إلى انتقادات عديدة في الصحافة السورية والعربية، إضافةً إلى أوضاع مهرجان دمشق السينمائي بدورته الجديدة. ما هي الإضافات التي يقدمها سواء على مستوى العروض والتظاهرات، أو على مستوى التنظيم.

■ نحن الآن على أبواب دورة جديدة لمهرجان دمشق السينمائي، ما هي التحضيرات المعدة لهذه الدورة، وما هو الجديد فيها، لاسيما وأن البعض أثار سابقاً العديد من الانتقادات سواء لجهة الأفلام المشاركة أو لجهة القصور في تنظيم الدورات السابقة؟

□□ **بالتأكيد، بأي خطوة جديدة يجب أن نستفيد من تجاربنا السابقة، وبرأيي سار مهرجان دمشق السينمائي خطوات كبيرة وهامة إلى الأمام عبر دوراته المتتالية على مستوى المحتوى بمعنى: أنشطته وفعالياته، والأفلام المشاركة، والندوات، والمنشورات الخ.. وعبر السنوات تطور المهرجان تنظيمياً.**

نحن الآن أمام الدورة الحادية عشرة للمهرجان، نتطلع إلى أن تكون هي الدورة الأفضل، لاسيما وأنها الأخيرة خلال هذا القرن ولذلك ضمّنا هذه الدورة مجموعة كبيرة من الفعاليات، ويمكن الإشارة إلى ذلك بشكلٍ سريع جداً.

سيكون في هذه الدورة بالإضافة إلى مسابقة الأفلام الطويلة ومسابقة الأفلام القصيرة والخاصة بالدول العربية ودول أمريكا اللاتينية وآسيا مجموعة من التظاهرات هي: تظاهرة للسينما الصينية الحديثة، وتظاهرة لمختارات من السينما حول القضية الفلسطينية (وهذه كانت حاضرة في كل الدورات). هناك أيضاً تظاهرة للسينما السورية عبر تاريخها، وهناك تظاهرة تحت اسم: «نظرة إلى المهرجانات العالمية» يتم فيها تقديم مجموعة مختارة من أفلام حصلت على تقييمات هامة في مهرجانات سينمائية هامة. ثم هناك تظاهرة جديدة تُقام في هذه الدورة للمرة الأولى والأخيرة (كونها الدورة الأخيرة في هذا القرن) وهي تظاهرة لمختارات من السينما العربية والعالمية خلال القرن، وستضم كمّاً كبيراً من الأفلام التي اختيرت بعناية بحيث تمثل السينما في أهم مراكز الانتاج في العالم منذ البداية وحتى الآن وبحيث تعكس تطور السينما في العالم. هذه التظاهرة وكما هي عليه الحال بالنسبة للتظاهرات الأخرى جرى التحضير لها بكثير من الاهتمام، فعلى سبيل المثال: اخترنا من مصر خمسة عشر فيلماً منذ بدايات السينما الصامتة وحتى الآن وهي تعكس مختلف مراحل تطور هذه السينما وفعلنا الشيء نفسه تجاه العديد من مراكز الانتاج الهامة في العالم.

مهرجان دمشق السينمائي معروف كمهرجان ذو طابع ثقافي ونحن نجسّد هذا الأمر بطريقة انتقاء الأفلام، وطريقة اختيار الشخصيات التي تحضر وباختيار الندوات فمثلاً عنوان الدورة المركزية لهذه الدورة هو: السينما العربية وتحدّيات العولمة.. هذا الموضوع مطروح للبحث كثيراً وفي كافة المجالات، وعلينا في مجال السينما أيضاً أن لانتخلّف عن الركب، وأن نتطرق إلى هذا الموضوع الراقي والحيوي جداً كوسيلة اتصال.

هناك وسائل اتصال متسارعة ومتطورة، ويجب أن نضع مسألة السينما الآن أمام هذه التحديات الجديدة، وكيف نتعامل معها، وما هي آفاق خدمة السينما؟ وما هي المحاذير في هذا المجال؟!

نحن نؤصل أيضاً عمل السينما في إطار إصدارات وزارة الثقافة، نصدر سلسلة تحت عنوان: «الفن السابع»، وغالباً منشورات هذه السلسلة متاحة لجميع المهتمين، وهذا مظهر آخر من مظاهر الطابع الثقافي للمهرجان، وفي هذا الإطار لدينا الآن سلسلة جديدة ستكون بعض منشوراتها بين أيدي المتابعين وهي بعنوان: دراسات ووثائق، ستضم خلافاً (للسلسلة الأخرى التي عنيت بترجمات مختارة من العالم) دراسات محلية تتعلق بكل ما يتصل بالسينما من فنون أخرى، كالرواية مثلاً، ورأينا أن نفتح المجال لدراسات محلية لباحثين سوريين وعرب كي يتسع أفق النشر وتعميم الثقافة السينمائية.

شعار المهرجان: (سينما من أجل التقدم والتحرر) وطبعاً التقدم بالمعنى الواسع وهو ليس شعاراً مجانياً وإنما جسّدناه دائماً، بمعنى أن تكون السينما من أجل تقدّم الإنسان وتحرره فعلاً.

وبشهادة كل ضيوف مهرجان دمشق ومن كل أطراف العالم أصبح يتميز المهرجان بأنه ذو هوية ثقافية ولايقبل أفلاماً استهلاكية لتعرض، والمسألة ليست مسألة تجميع أفلام، وإنما انتقاء أفلام تمر عبر شعار المهرجان وعبر نظرتنا إلى السينما كفعل ثقافي ومعرفي.

نحاول على صعيد التنظيم الاستفادة من الأخطاء، لكن لانزعم أننا حققنا الكمال فهذا لا يمكن أن يتحقق إلا أننا نبذل كل المستطاع لأن يتطور المهرجان دورة بعد دورة، وخلال الدورات الأخيرة وصلنا إلى طريقة الترجمة الضوئية للأفلام الأجنبية التي تدخل المسابقة.

أما مسألة كيفية حضور العروض لكافة الهيئات والمنظمات لهذه المسالة أيضاً نطورها عاماً بعد عام، وهذه الدورة سيكون هناك شكل جديد لتسهيل متابعة العروض من قبل كافة المهتمين بوسيلة أكثر تطوراً وسهولة.

■ منذ تسلمكم إدارة المؤسسة العامة للسينما، كمتخصص وصاحب هاجس ثقافي، انتعش لدينا الطموح بزيادة عدد الأفلام المنتجة، لكن هذا الأمر لم يتقاطع مع ذلك الطموح.. كيف تعلق على ذلك؟ وكيف ترى المخرج من هذه الثغرة؟

□□ لاشك أن الطموح كان في بداية عملي الإداري كمدير عام لمؤسسة السينما، أن ننهض نهوضاً كبيراً في عملية الانتاج السينمائي السوري، ما حصل هو أننا نهضنا، فخلال الثمانينات كان مجموع الانتاج السينمائي هو ثمانية أفلام، في التسعينات حققنا حتى الآن ثلاثة عشر فيلماً طويلاً، وهناك فيلمان قيد الإنجاز، أي أن هذا الإنجاز قد تضاعف تقريباً في التسعينات، هذا بالإضافة إلى مجموعة جيدة من الأفلام القصيرة. لكن هذا لايعني أننا حققنا الطموحات المرجوة، خاصةً وأن الطاقات الفنية والبشرية موجودة، وعملية التطور التقني تحققت أيضاً بشكلٍ جيد خلال هذه السنوات، لكن عدم توفر السيولة المالية الكافية، لم يسمح بتحقيق الطموح بالمستوى المرجو، وعدم توفر السيولة المالية سببه بسيط، لكنه في غاية الأهمية في نفس الوقت وهو: أن المؤسسة العامة للسينما، صُنفت كمؤسسة اقتصادية من مؤسسات وزارة الثقافة وهذا يعني أن تغطي نشاطاتها من خلال إيراداتها.

> **" يجب أن تتوفر للسينما السورية الشروط اللازمة كي تنتقل إلى حالة أفضل "**
>
> **" فرضوا الحصار على المؤسسة العامة للسينما بوسائل كثيرة "**

إيرادات المؤسسة محدودة ومعروفة وهي: مراسم دعم السينما (وحصيلة هذا لايغطي انتاج نصف فيلم طويل)، واستيراد وتوزيع الأفلام الذي أنيط بالمؤسسة، وهنا كان هناك طموح دائم أن تستوعب المؤسسة أفلاماً جادة ومميزة، لكن هذه الأفلام المميزة بمقاييسنا نحن، لم تكن ترضي أصحاب الصالات الذين يعتبرونها أفلاماً غير تجارية وبالتالي فهم لايشترونها، وهكذا بدأت تتناقص إيرادات المؤسسة من قطاع الإستيراد والتوزيع، الذي حُصر بالمؤسسة، فضلاً عن أننا وخلال التسعينات واجهنا تناقص عمليات الدعم غير المباشرة التي كانت تقدم لنا، بسبب ارتفاع قيمة احتساب أسعار صرف الدولار، فنحن لانتقاضى من الدولة مخصصات، وإنما نعتمد على إيراداتنا وهذه الإيرادات تناقصت، وبالمقابل زادت قيمة الدولار، وبما أننا نشتري بالدولارات التي نحتاجها لشراء الأفلام من إيراداتنا، فقد زادت قيمة ما ندفعه، وتناقصت كلياً عملية الدعم غير المباشرة التي كانت تقدم لنا، أما تكاليف الانتاج فقد زادت كثيراً، وهذا أمر ينسحب على كل الأمور: أجور الفنانين والفنيين، والتكاليف العامة للانتاج.. ورغم أنه من المفترض أن تنعكس كل هذه المسائل سلباً على مسار المؤسسة، فنحن ضاعفنا الانتاج وحسنّا العمل في مختلف المفاصل.. مع ذلك أشعر أننا لم نحقق ما كنا نطمح إليه، لأن طموحنا كبير جداً.

كنا نتلقى بين حين وآخر بعض مبالغ الدعم، لكن هذه المبالغ لم تكن لتفي إطلاقاً بالنهوض المرجو في مجال الانتاج السينمائي.

تسعى الآن السيدة وزيرة الثقافة لدى الجهات المعنية كي تتحول المؤسسة العامة للسينما إلى هيئة ذات طابع إداري وثقافي، كما هو شأن الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون مثلاً، هذا يعني أن تصبح المؤسسة هيئة تأخذ ميزانية خاصة من الدولة، وإذا كان لدينا المقدرة على إنتاج ستة أو سبعة أفلام في العام فيمكن أن ترصد ضمن الموازنة العامة ونأخذ تكاليفها، كما نأخذ احتياجاتنا من الرواتب والنفقات الأخرى، وهكذا تصبح هناك إمكانية لتحقيق نقلة نوعية، والنهوض بهذه المؤسسة التي لديها كافة الامكانيات (الفنية والبشرية) ماعدا الإمكانية المالية التي يمكن - بعد هذه النقلة - أن تتحقق.

■ هناك فارق كبير ما بين خطاب ثقافي، وخطاب استهلاكي، والمفارقة أن السينما كخطاب ثقافي لايقدم لها هذا الدعم بينما التلفزيون كخطاب استهلاكي يقدّم له كل الدعم، من هنا تأتي أهمية هذه الخطوة، فهل يا ترى هي خطوة جادة؟

□□ هي خطوة في غاية الجدية، لأن العمل يجري عليها منذ فترة ليست قصيرة، وهناك اقتراحات مدروسة ومحددة، والسيدة الوزيرة تتابع هذا الأمر شخصياً، لقناعتها بأن المشهد السينمائي من أهم مفاصل الثقافة، وهو بالتالي يندرج ضمن مشروعها الثقافي ويبدو لي أن آفاق هذه المسألة قابلة للتحقيق، وهناك قناعات أتمنى أن تصبح نهائية وتتوفر لها



لقطة من فيلم الافتتاح عرق البلح



لقطة من فيلم تراب الغرباء

الشروط اللازمة، وبهذه الحالة فقط يمكن لنا الانتقال إلى تغيير الخارطة السينمائية، ليس فقط فيما يتعلق بالمؤسسة العامة للسينما، بل بوضع السينما في سورية ككل، وضع الانتاج السينمائي في القطاعين العام والخاص، ووضع الصالات السينمائية، وتوفير الشروط الأمثل لدفع أصحاب الصالات لتحديث وتحسين وتطوير صالاتهم.

المسألة طبعاً متكاملة، ومترابطة، فعندما ننظر إلى السينما بمنظار ثقافي وليس اقتصادياً، تصبح هناك إمكانية لتأمين عناية أكبر وتوفير المتطلبات التي نحن بحاجة إليها، وطبعاً الاقتصاد نتيجة، ولاشك أن مسألة السينما في سورية يجب أن تتوفر لها الشروط اللازمة كي تنتقل إلى حالة أفضل بكثير على مختلف مجالاتها.

وثمة حلول مؤقتة مطروحة الآن، قد تساعد مرحلياً في حل بعض الاشكاليات إلى حين انتقال المؤسسة إلى هيئة ذات طابع إداري وثقافي.

■ ما هي أسباب تأخر أو انعدام عرض بعض أفلام المؤسسة العامة للسينما جماهيرياً؟ الا يؤثر ذلك برأيك على شروط عرض الفيلم، وربما إعدامه، وعلى عائداته التي ستصب في النهاية بدعم عملية الانتاج (أو على الأقل) استعادة تكاليف انتاج الفيلم، وألا يؤثر ذلك على صورة المؤسسة لاحقاً؟

□□ أعتقد أن الصورة التي أسمعها من قبل الكثير من الزملاء والمتابعين عن إحساسهم بغياب السينما السورية عن الصالات لاتعكس الواقع الموضوعي.. فنحن عندما ننتج فيلماً أو فيلمين في العام، فمن الطبيعي أن لايشكل هذان الفيلمان حالة تواجد للسينما السورية.

نحن نعرض أفلامنا وبشكل خاص في صالاتنا (صالات الكندي) لكن لايمكن أن نعرضها على مدار العام، أو أشهر، مع ذلك بعضها استمر عرضه على مدى أشهر، وحقّق نجاحاً جماهيرياً، لكن أفلامنا لاتتأخر على الأرض. قد يحدث أحياناً أن ينتج فيلم خارج موسم العرض وفي هذه الحال نحن نفضل أن نعرضه ضمن الموسم، لذلك قد يتأخر لأشهر، لكن ليس هناك فيلم من انتاج المؤسسة حُجبت عنه فرصة العرض.

أما حول مسألة العائدات، فهناك توضيح في غاية الأهمية أود أن أقدمه. هناك أفلام أنتجها القطاع الخاص (وبالمناسبة القطاع الخاص أنتج خلال كل تاريخه مائة وخمسة وعشرين فيلماً، من بينها لايوجد ربما أكثر من ثلاثة أو أربعة أفلام يمكن أن نصفها بأنها أفلام سينمائية، وما تبقى يمكن أن تكون عبارة عن مشاريع ليست لها علاقة بالثقافة أو الفن أو السينما، مع ذلك، هناك العديد من هذه الأفلام لاقت رواجاً تجارياً، لأنها كانت كما يحصل مع كثير من الأفلام المصرية كانت تدغدغ بعض المشاعر المريضة وهذه المسألة متوارثة عبر سنوات طويلة.

في الأفلام التي تنتجها المؤسسة نطمح إلى تحقيق سينما راقية فنياً وفكرياً، وهذه السينما ليست بالضرورة هي سينما جماهيرية. طبعاً نحن ننتج سينما كي تصل إلى الناس، لكن لانقوم بتحقيق سينما بغرض البحث عما يطلبه الجمهور، وما تعود عليه، بل نقدم ما يجب أن يُقدم إليه، كما هي الحال في الموسيقى، والكتاب، ومختلف الفنون ومنابع ومصادر الثقافة. لابد من الارتقاء بهذه العلاقة.. يجب أن نرتقي بأذواق الناس وثقافتهم.

■ الاترون أنه لايليق بدمشق، وهي عاصمة ثقافية عربية، أن تكون دور السينما فيها ملاذاً لأسوأ وأتفه الأفلام التي لاتروج إلا لثقافة مخربة ومدمرة للعقل؟ وإذا كنتم تتفقون معي بهذا التقييم فما المخرج من هذه الحالة؟!

□□ صالات السينما المملوكة من قبل القطاع الخاص تحاول ـ كما قلت ـ أن لاتشتري منذ سنوات من المؤسسة (المستورد الذي يحصر بها الاستيراد) الأفلام الجيدة والمتميزة، رغم أننا نشتري العديد من الأفلام التي حازت على جوائز الأوسكار وجوائز مهرجانات كبرى، أو أفلام ذات سوية فنية عالية. أصحاب هذه الصالات لايشترون هذه الأفلام بدعوى أنها غير تجارية، بل ويصفونها بأنها أفلامٌ غير جيدة.

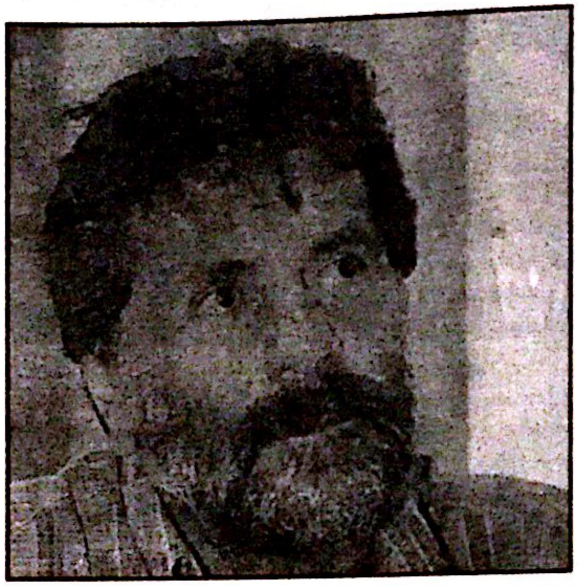
إلى جانب هذه الأفلام نحن نستورد طبعاً أفلاماً عادية استهلاكية، بحكم كون المؤسسة هي مؤسسة اقتصادية ـ كما تحدثت قبل قليل، وأن توفق بين الثقافي وبين التجاري والاستهلاكي فهذه معضلة نحن وقفنا أمام حلها بكثير من الصعوبة. لديّ أهداف ثقافية، لكن مطلوب مني تحقيق أهداف اقتصادية، والطموح طبعاً أن أتحرّر من هذه الصفة الاقتصادية، لكن أن تأتي بأفلام ذات مستوى ثقافي وفكري هام ولا تُشترى منك، ثم تحاسب فيما بعد: لماذا هذه الأفلام خاسرة؟ فهذه مشكلة. تلك الأفلام رابحة ثقافياً لو عُرضت، لكنها خاسرة اقتصادياً. لذلك نحاول منذ سنوات طويلة أن نوفق بين المسألتين. فأنا مضطر أمام هذه الحالة القانونية والواقعية أن أحقق بعض المردود للمؤسسة، كي لاتتحول إلى مؤسسة خاسرة، ولكي أوفر ما تطلبه المؤسسة من نفقات ورواتب وأجور.

أصحاب الصالات انصرفوا عاماً بعد عام، وأنا أقول بصراحة إن في جوهر هذه المواقف محاربة (لمرسوم حصر الاستيراد والمرتبط بالمؤسسة)، والعودة إلى ما كانت عليه الحال قبل ذلك، وهذه حالة مستحيلة، فأن نكون نحن مؤسسة اقتصادية، وأن نحرم من رسوم حصر الاستيراد، هذا لايستقيم. أنا لست ضد التخلي عن مرسوم حصر الاستيراد، لكن هذا الأمر يرتبط بأن نتحوّل إلى هيئة ذات طابع إداري وثقافي وأن تأخذ المؤسسة كل مخصصاتها من الموازنة.

لقد فرضوا الحصار على المؤسسة العامة للسينما بوسائل كثيرة، وبدعم من أجهزة إعلامية كثيرة في البلد، وهناك طبعاً مصالح كثيرة نحن نراها ترتبط وتتحالف لإحكام هذا الحصار وترافق هذا مع تخلي أصحاب الصالات عن العناية بصالاتهم إلى أن ساءت أحوالها. هذا الوضع فعلاً غير مقبول وغير مستحب وغير لائق. نشعر أن هذه الحالة تتفاقم عاماً بعد عام، وأنا بكل صراحة وصدق لن أدافع عن هذه الحالة لكن إزاء تفاقمها لابد لنا من حلول. وكما أشرت هناك حلول تقدمنا بها، ومن شأنها أن تغير هذه الحالة ليس فقط بما يتصل بالمؤسسة العامة للسينما، وإنما على صعيد كل ما يتصل بالمشهد السينمائي في سورية ■■

دفاعاً عن ريتا والبندقية

فيروز الناجي



لسنا ندافع عن مارسيل خليفة، بمقدار ما ندافع عما زرعه فينا هذا الفنان العظيم.. من خلال أغنيات، وموسيقى علمتنا كلماتها كيف نحترم الإنسان.. وكيف نحترم الوطن، وتراثه وتاريخه..

كيف يكون مارسيل.. صديقنا جميعاً.. قد أساء للأديان السماوية، وهو منذ عرفناه.. وجدناه يبحث دائماً عن أي معنى يقول الإنسان العربي.. والإنسان في كل العالم، يبحث عن كل ما يتحدث عن قهره وتعبه، ليقوله بصوتٍ عالٍ دون خوف. لقد بحث منذ «أحن إلى خبز أمي».. مروراً «بريتا».. وصولاً إلى «بغنيتك نزل الشتي»، و«أنا يوسف يا أبي».. وبعد ذلك حاول البحث في أعماق الجدل الذي يدور في عالمنا العربي.. وسط كل هذا كان يبحث عن الإنسان، وجاء الآن أو قبل حين ليصرخ برفاقه القدماء.. أين أنتم.. لماذا أضعتم خبز امهاتكم، وسبيلكم إليه، ولم تعد ذاكرتكم تسعفكم لتذكر الحبيبة واستحضارها، كما ويقول.. جميلٌ هذا الجدل.. لكن يجب أن نصل به إلى نتائج.. فمن استمع إلى جدل مارسيل، سيشعر وكأنه ردّ على صرخة يوسف، سيشعر ببحثه وسطه على نتيجة يصل لها الجميع، وفي النهاية يترك ذلك للمصفقين..

لماذا يحدث هذا لمارسيل؟

ألأنه أثبت في حفلاته الأخيرة في صيدا، أن الصيادين لن يتخلوا عن بحرهم، أم لأنهم قالوا جميعاً معه وبصوتٍ واحد ووقوفاً:

منتصب القامة أمشي
مرفوع الهامة أمشي
في كفي قصفة زيتونٍ
وعلى كتفي نعشي..

الأسئلة كثيرة، وسؤال لماذا؟ اهمها هذه الأيام.. فلماذا.. يحدث الكثير من الأشياء؟؟ وبعد قليل سنسأل أنفسنا.. لماذا نسأل؟!!

مارسيل خليفة، أحمد قعبور، خالد الهبر، سميح شقير، فرقة العاشقين.. والكثيرون.. لم يكونوا يوماً إلا جزءاً مهماً من تكوين ذاكرتنا وأرواحنا، بأصواتهم تعلمنا.. الإنسان والوطن والحياة والحب..

ليس الجميع يقرأ الشعر.. لكنهم استطاعوا أن يجعلوا من كلماته صديقاً قريباً لكل الناس.

إذاً..

ندافع عن مارسيل.. ليس لأننا ننحاز للعلمانية، أو لفكر مارسيل، وليس من موقع العداء لأحد.. بل لأنه علمنا ـ والجميع يعرف ذلك ـ علمنا أن نحترم ونعشق كل ماله علاقة بالوطن، فليست قصيدة «يوسف» التي غناها منذ ثلاث سنوات.. ستتسبب بهدم التاريخ الإنساني سواء الإسلامي أو غيره..

فكم من الأشياء تم أو يتم تدميرها خلال السنوات السابقة وبينما من يسمع الأغنية جيداً، سيجد أنها أقرب إلى النداء، ومحاولة الخروج من أسباب الهدم والهزيمة التي يتسبب بها الكثيرون كل يوم، دون محاكمة ولا حتى سؤال.

مارسيل خليفة ليس ملحداً، ولا هو مهين للديانات السماوية وكتبها المقدسة، فمن يؤمن بالروح الإنسانية وقيمتها ويناضل من أجل نصرتها، أقرب إلى أن يكون قديساً بدلاً من اتهامه بكل هذه الاتهامات الباطلة..

مارسيل خليفة..

ندافع عنك.. لأننا بدفاعنا عنك.. إنما ندافع عما تبقى فينا من معانٍ جميلة، مازلنا نمسك بها وندافع عنها وسط كل هذا الانهيار، ولابد من انتصار الحقائق، نحن نؤمن بهذا.. ولن يكون يوماً إلا ما يريده الإنسان العربي المقهور، طالما هو يردد معك.. وبصوتٍ يصم الآذان.. أغنياتك التي تسكن في شراييننا..

التوقيع..
كل مَنْ أحبوك..

«أعاصير في بلاد الشام» لناديا خوست

رواية تاريخية وثائقية عن الحياة السياسية والاجتماعية

عمر شبانة

تأتي رواية الكاتبة والباحثة السورية ناديا خوست «أعاصير في بلاد الشام» (صدرت عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق)، في الذكرى الخمسين لاحتلال فلسطين واقتلاع شعبها، مستندة إلى «شهادات شخصية وموسوعات ووثائق ومذكرات وكتب تاريخية». فتجعل من هذه المادة الأساسية بنياناً روائياً ينطوي على البعدين: التاريخي والمتخيل، وتحتشد بالشخوص الحقيقيين والروائيين، وتحفل بأشكال من السرد والتحليل والمحاورات والتداعيات، حيث تتقاطع الوثيقة مع الذكريات، والوقائع مع الرؤى والتخيلات، وتمر جميعاً عبر رؤية الكاتبة التي تسعى إلى صوغ نماذج إنسانية ومُثُل جميلة وخالدة، ترتقي بالهم الفلسطيني إلى مستوى المأساة الإنسانية، دون أن تقيم أي مسافة بين الحقيقة الفنية والحقيقة الواقعية.

تبني الكاتبة روايتها على حكايات البطل الأول، والوحيد تقريباً، في الرواية وهو «قيس» ابن قرية صفورية، المولود في الثلاثينات في هذه القرية التي تبعد عن الناصرة سبعة كيلومترات، وهي - بحسب البحث «صفوريس، عاصمة الجليل كله» في أيام الرومان (وتقدم الكاتبة معلومات هامة عن القرية، ترسم ملامح أساسية لها منذ القدم، مروراً بكونها قاعدة للفرنجة ضد صلاح الدين عام ١١٨٣، وببناء قلعتها على يد الشيخ ضاهر العمر عام ١٧٤٥... الخ).

تسير الرواية بدءاً من وجود «قيس» في روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ثم عودته إلى «إربد» - المدينة الأردنية التي عاش فيها بعد النكبة بضع سنوات، قبل أن ينتقل منها هارباً إلى دمشق، حيث يُمضي ردحاً من السنوات في حياة ثقافية وسياسية خصبة في أجواء الخمسينيات، وصعود المد الناصري والبعثي، ومحاولات الأحلاف (حلف بغداد) ومواجهتها شعبياً، والوحدة المصرية السورية أو عدد من الأحداث التاريخية التي صنعت شخصية «قيس» بقدر ما ساهمت في تصنيع قدر الوطن العربي عموماً، وبلاد الشام خصوصاً.

عاد «قيس» إذن، «في الزمن الذي كان اليساريون فيه لايزالون يفسرون الانقلاب العالمي كأنه إصلاحات ضرورية»، أما القوميون فشعروا بأن «كارثة نزلت بالدنيا، افقدتهم سنداً يتكئون عليه ولو لم يحبّوا طرازه»، في حين شعر «جل الشارع.. بأن الكون يترنح». وفي هذا «المناخ» من التحولات تقنع الكاتبة على لسان البطل «قيس»، وعلى لسان الراوي أيضاً، ملامح من صورة اليهود الروس وتأثيراتهم في روسيا، من خلال أسماء «طوران روبرت» و«فيكتور» و«غابور ناج» و«يوسف كوفاتش» و«جورج ماكاي».

ورغم ان الرواية هي رواية «قيس»، فإن «قيس» هنا ليس أقل من محور هام من محاور تاريخ بلاد الشام في الحقبة الممتدة منذ ولادته، مروراً بنكبة وطنه، وصولاً إلى عودته ليعيش في بلدة صباه (إربد) على مسافة خمسين كيلو متراً من مسقط رأسه، لكنها «أطول من خمسة ملايين سنة»، ليستعيد تجربة من ستة عقود ربما كانت أنموذجاً لجيل كامل ممن عاشوا في هذه المنطقة، في هذا الزمن. فمنذ الطفولة، هناك حياة القرية وعالمها الحميم، والتنقل اليسير بين فلسطين ولبنان والشام، الشام التي يتعرف عليها «قيس» للمرة الأولى من أغنية «شامية وجاية من الشام» فاغمض عينيه ليتصور «المدينة الجميلة ذات الورود والريحان، ذات المياه، مدينة الحضارة الرخية التي يتطلع إليها البدوي والريفي كما يتطلع المؤمن إلى الجنة..» وعرف عندما كبر كيف «تصبح اللغة رقيقة وسحرية، مناورة ومغرية عند الشاميات. وكأنه لمس وقتذاك آثار آلاف السنوات التي شيدت حضارة في مدينة وفي ذوق وطباع» وعرف - فيما بعد - وقال لنفسه «القرية هي الصراحة والمدنية هي التحفظ» (والرواية تمتلئ بمثل هذه التأملات والاستخلاصات في جوانب الحياة السياسية والاجتماعية..).

وبافتقاد القرية، سيفتقد الطفل ذلك الحب البريء في صورة ثمار الصبا يقدمها إلى «صبحية»، وفي أغاني عبد الوهاب وأسمهان ولور دكاش، وهي تنطلق من بوق «الغرامافون» الموجّه صوب طريق النبع لكي تتوقف «غزالة» وتتساءل إن كانت «إملأ الكاس ابتساماً وغراماً» موجهة إليها دون الصبايا؟!

وإلى حشد النسوة اللائي تعرّف إليهن، في علاقات مختلفة، ضمن فهم للعلاقة يقوم على تقبل أي امرأة دون القبول بالزواج منها إلا إذا كانت بكراً «لم يقبل فمها غير أمها» كي يكون هو «الفاتح الأول».. ثمة ليلى/ الحلم الذي سيظل يطارد بطلنا «قيس»، ليست ليلى المرأة فقط، بل ربما المرأة/ الوطن المفقود.

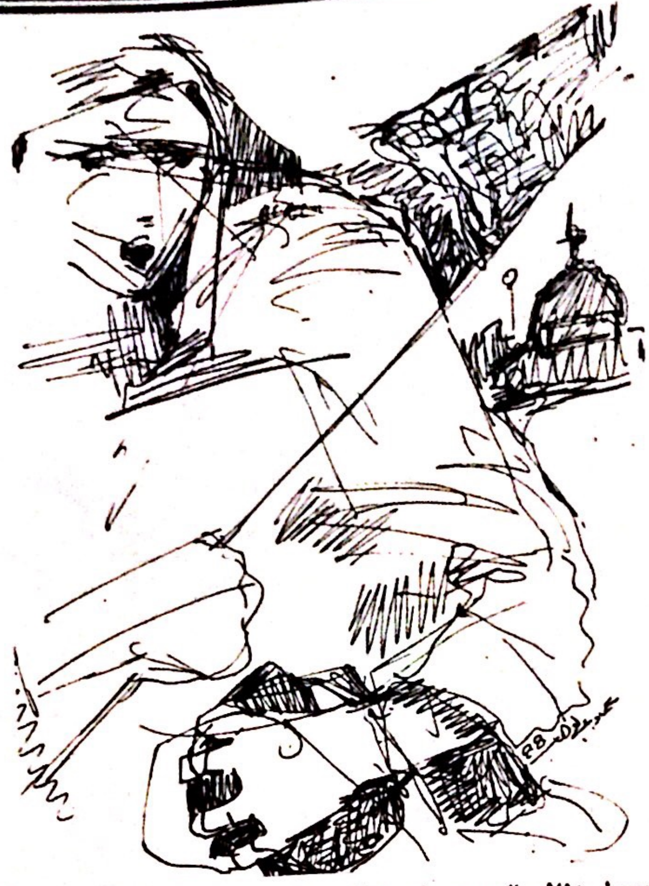
ولأن «الراوي» هنا يشتبك مع الكاتبة، أو لأن الكاتبة هي نفسها الراوي، فإن صوتها كثيراً ما يتدخل ليشرح أو يفسر، وكثيراً ما تقدم المعلومة أو الصورة في زمنين متباعدين. فحين تضع «قيس» في حمام النساء وهو لم يبلغ الثامنة بعد، وجعلته يتأمل هذا العالم من النساء ويردد «يالهذا المخلوق الراقي! ما أملح النساء..»، ستنقلنا زمنياً وهي تقول لنا إن «قيس» قد تنهّد «يوم رأى - فيما بعد - في أوروبا لوحات تسجل الحمامات الشرقية» وقال إن هذه اللوحات «ناقصة» فقد «غاب عن اللوحات أيضاً، عبق التاريخ الذي تنفسه قيس آنذاك». وستكون الفرصة الملائمة للحديث عن «حمامات طبرية»، وعن أهمية الحمام ليس لما فيه من مياه حارّة فقط، بل بسبب «المكان الذي احتضن (...) الفضاء الخفي في تلك الأمكنة..». فالكاتبة - كما هو معروف من بحوثها وكتاباتها - من أهم الباحثين في «المكان»، وفي مدينة دمشق التاريخية خصوصاً. ولهذا فإنها ستغتنم كل فرصة في الرواية للتحدث عن «المكان» في دمشق وفي كل مدينة قديمة أيضاً، إذ ستأخذ «قيس» - مع أبيه - إلى القدس ليصعد أدراجها العتيقة، ويتفرج على أسواقها، ويتوقف مفتوناً أمام سبيل قايتباي، قبل أن يدخل المسجد الأقصى وينبهر بالسجاد والثريات، وبالضوء الذي لم يكن سوى «عنصر في الزخرفة..».. وتتساءل «الراوية» ما إذا كان «قيس» واجه هناك «السحر الذي يخلقه الفن ويتوّج به الحضارات» وهو يتأمل قبة الصخرة التي - كما يقول أبوه - بناها «عبد الملك بن مروان سنة

٦٩١»، ثم يشير إلى السقوف الذهبية، والجدران المرخمة، والنوافذ الزجاجية، والفسيفساء التي «اشتغلها كلها المعماريون السوريون». ويظهر اهتمام الباحثة في روايتها، حيث أثر المكان في الإنسان فتقول على لسان قيس «كل ما نراه يفتنني أو يفتقر بنا، فينا يوجد الشطر الآخر من جوهر الكون».

وكما تهتم بالمكان وعناصره، تهتم الرواية بالإنسان وتقاليده، فنرى أميرة في «عباءتها الصفدية البرتقالية المخططة بخطوط سوداء». ونسمع الأغاني المعبرة عن حياة الناس، وعن نضالات الشعب الفلسطيني في مواجهة الانجليز والصهاينة، خصوصاً حول بيع الذهب لشراء السلاح «وبكرة مرتي - كيف راح تقضي نهارها/ ويلها عليّ أو ويلها على صغارها/ ياريتني خليت في إيدها سوارها/ يوم دعتني الحرب تاإشتري سلاحها».

وهنا تتدخل الكاتبة/ المرأة لتتساءل ما إذا كانت زوجة المقاتل قد «خافت عليه عندما ودعته في ذلك اليوم؟ أم كان غضبها أكبر من خوفها؟» ثم تحلل وتفترض «لوكان الجيش يقبل نساء لتطوعت ولكانت مفيدةً في بلد تعرفه. لكن النساء العربيات اللواتي حاربن في الماضي البعيد وكانت منهن عائشة التي ركبت الجمل وقادت آلاف الرجال، وكانت منهن أسماء التي قالت في ترفّع: أما آن لهذا الفارس أن يترجل، وكانت منهن غزالة الخارجية.. حُبسن منذ زمن بعيد في البيوت. نازك العابد، الجميلة الشقراء التي حاربت في ميسلون مع يوسف العظمة،نسيها الناس. لبست سامية المدرس التي لبست ثياب الجيش غير مثل للفرجة. والفتيات الفلسطينيات واللبنانيات، سناء محيدلي ولولا عبود ودلال المغربي، اللواتي سيلجرن انفسهن في المحتلين، لازلن بعيدات».

والمراة حين لاتحارب في المعركة كما يحارب الرجل «في ارض محدودة»، فإنها «تضع الحرب كلها في بيتها» أو «تعيش وسط هزائم الحرب». فهي تفقد الرجال: الزوج والأب والابن والحبيب و.. الخ من الشهداء.



على محور آخر من محاور الرواية ترسم الكاتبة خريطة الحرب التي لم تخضها الجيوش العربية إلا لتقسيم فلسطين، حسب خطة الأمم المتحدة، وتسليم اليهود القسم الذي حدده لهم قرار التقسيم (١٩٤٧)، وذهبت سدى كل بطولات الضباط الذين قاتلوا فعلاً من أجل تحرير فلسطين، وهنا تظهر صورة ضباط ومتطوعين سوريين (مثل إحسان كم ألماظ وجودت الأتاسي وغسان جديد)، في مواجهة الضابط ساري الفنيش الذي تتهمه الرواية علناً، ومن خلال وقائع معينة، بالعمل ضمن المخطط الساعي لتسليم اليهود ذلك القسم من فلسطين، فهو يتلقى أوامره من قائده الأعلى كلوب باشا، خصوصاً في مسألة «سقوط صفد» المدينة التي ظل القائد السوري كم ألماظ يدافع عنها إلى أن جاء ساري الفنيش ونقله إلى موقع آخر، فلم يمض سوى وقت قصير حتى حضرت قوات يهودية واحتلت (بل تسلمت المدينة).

وتحتل معارك عام ١٩٤٨، والمجازر وعمليات الطرد والتهجير بحق الفلسطينيين، والمقاومة العربية، حيزاً تمتزج في سرده المادة الوثائقية والشهادات الحية، وتبرز جميعها دور السوريين (البعثيين والقوميين السوريين) في الدفاع عن فلسطين قبل سقوطها وبعده، وبوصفها جنوب سوريا الكبرى حيناً، وبحكم أن ما يصيبها يصيب سورية كلها خصوصاً، والعرب عموماً.

أما حياة قيس بعد النكبة فتتوزع بين إربد والعدسية (قرية في الغور كانت تعيش فيها أقلية من البهائيين) والشام وعمان وسجن الجفر.. هذه الأمكنة التي تشهد أهم الأحداث التي شكلت تاريخ المنطقة منذ الخمسينات وحتى التسعينات التي تبلغ الرواية مشارفها، وترصد آخر الأعاصير التي أصابت بلاد الشام وهي تصيبُ العالم المدعو بالمنظومة الاشتراكية.

إنها رواية عن بلاد الشام في حقبة النكبة وما تلاها حيث احتلال فلسطين غدا - كما تقول الراوية «دملاً في قلب البلاد العربية، سنعاني منه حتى هنا في دمشق»، لكنها ليست رواية فلسطينية - كما هي حال رواية إلياس خوري «باب الشمس»، بل «شامية» بمعنى الانتماء والنظر إلى بلاد الشام بوصفها «دولة واحدة، يخرج فيها (المسافر) من دمشق ويصل في اليوم نفسه إلى حيفا».

وإذا كان صحيحاً أن الحياة السياسية تحتل الحيز الأساسي في الرواية، فإن الوقفات والومضات القصيرة، والقليلة، التي تحمل مواقف ورؤى عن الحياة الاجتماعية عن الحب والعلاقات العاطفية الحميمة، تظل عالقة في روح القارئ كما لو أنها تحتل مساحة مساوية - في الكيف والعمق، وليس في الكم - لتلك التي تحتلها الحياة السياسية.

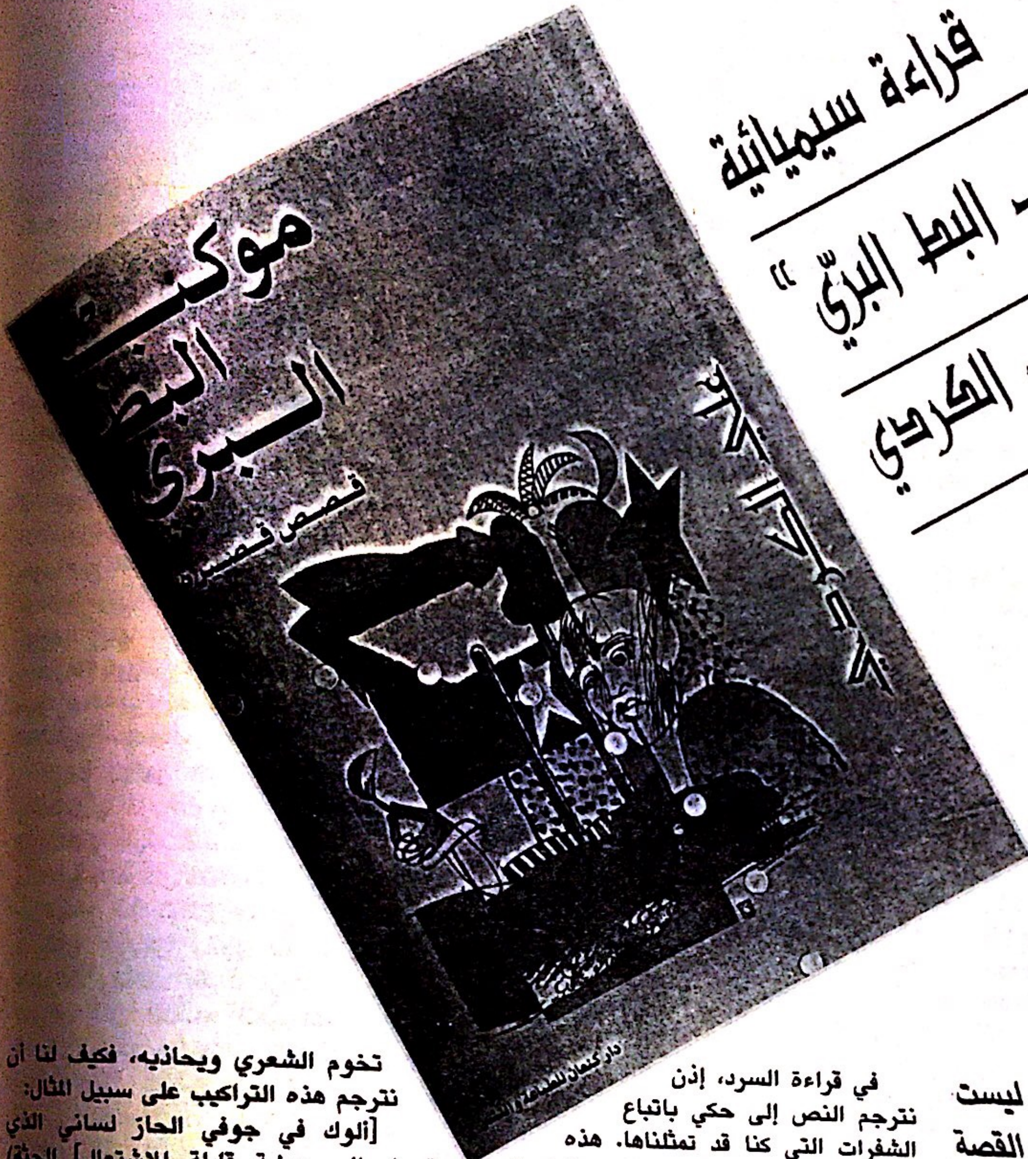
وصحيح أن الكثير من الأعاصير هبّت من الخارج في صور من الغزو والانتداب والاستيطان، وكل ما يمكن أن يوضع في باب المؤثرات (المؤامرات) الخارجية، إلا أن الظروف الداخلية العربية كانت مهيأة لتلتقي تلك المؤثرات (الأعاصير) والخضوع لها بحكم عوامل وظروف ذات علاقة بالبنية الداخلية، وبالحكومات التي كانت حديثة (الاستقلال)، وهو الاستقلال الشكلي غالباً. إذ لم يكد الشعب العربي يتخلص من وطأة الاستعمار (البريطاني والفرنسي، بعد انتهاء الحقبة العثمانية) حتى وقع في براثن أنظمة تابعة لم تكن تتورع عن القمع والقتل والمطاردة لكل وطني يسعى إلى الاستقلال الحقيقي وإلى الديمقراطية.

هذه هي أبرز محاور رواية «أعاصير في بلاد الشام». إلا أن هذا ليس كل ما تقوله هذه الرواية التي تستحق - دون ريب - قراءات على أصعدة أخرى لم نقف عندها كما ينبغي؟ ■■

(*) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٦ صفحات، ١٩٩٨.

قراءة سيميائية في "موكب البط البرّي" لـ علي الكردي

عبد الكريم درويش



الكلمات التي على الصفحة ليست القصة. والنصّ ليس الحكي. القصة ينشئها القارئ من الكلمات التي على الورقة بعملية استدلالية، وهي مهارة يمكن تطويرها. ودور القارئ هو بمعنى ما إبداعي إذ لاوجود للقصة بدونه. ولكنه أيضاً مشروط بقوانين الاستدلال التي تضع حدوداً لشرعية إنشاء القصة. يمكن دون شك، إرجاع أي خلاف تأويلي إلى شفرات النص، كشفرة الأفعال (الفراسية) أو شفرة الألغاز (التأويلية) أو الشفرة الثقافية أو الإيحائية أو الرمزية.

في قراءة السرد، إذن نترجم النص إلى حكي باتباع الشفرات التي كنا قد تمثلناها. هذه هي الطبيعة السردية لعملية القراءة العادية. وقد كشفت لنا التجربة أن الذاكرة البشرية لاتختزن كلمات النصوص، بل مفاهيمها، ليس الدوال بل المدلولات. وحين نقرأ نصاً سردياً، فنحن نعامله، إذن كحكي. ولو أعدنا رواية القصة، أي ترجمتها، فستكون بكلماتنا نحن. وإلى حدٍّ ما فإن التمييز بين الشعر والقصة مفيد هنا، فهو يقوم على فكرة أن الشعر فخم، ثابت الكلمات في النص، ولذا فهو غير قابل للترجمة، في حين أن القصص أثبتت طواعيته للترجمة إلى حدٍّ كبير لأن جوهره لايكمن في لغته، بل في بنيته الحكائية. وكلما اقترب القصص من شرط الشعر، ازدادت دقة كلماته أهمية. وكلما تحرّك الشعر صوب السرد، قلت أهمية لغته الخاصة. مع نصوص «علي الكردي» في مجموعته «موكب البط البري» الكلمات غير قابلة للترجمة إلى ألفاظنا التعبيرية في الحكي، والسردي يسير على تخوم الشعري ويحاذيه، فكيف لنا أن نترجم هذه التراكيب على سبيل المثال:

[ألوك في جوفي الحاز لساني الذي تحول إلى حطبة قابلة للإشتعال] الجثة/ ص١١.

[عانقت المدى بنظرة ضاعت في لجة المفاجأة] موكب البط البري/ ص٢١

[المدينة مضببة، مجللة بالليل والغموض، يخترقها نهر من العتمة والوحول]

[ألتهب بنار الجسد الرشيق حين يتلوى كنشيد النهر] رائحة الزمن المغلق/ ص٢٧-٢٨

[رنين ضحكاته كان موسيقى خفيفة تنساب جداول فرح في صحراء عالمي الداخلي المعتم] حمامة بيضاء/ ص٣٧،

[إنه عالم التذكارات المنسية يأتيه كموج من الذبابات الداخلية الغامضة] الرحيل/ ص٥٥.

نجدنا عاجزين عن أن نترجم مثل هذه التراكيب إلى الحكي، أو أن نبدل وحداتها السردية (الشخصيات، المشاهد، الأحداث) بوحدات لفظية (صفات، عبارات، أشباه

القراءة نقوم ببعض التغييرات (جمل) وفي الأخرى، فنحن ننظم المادة التي نتلقاها لكي يمكن تذكرها واستحضارها، وهذا يعني أننا ننسقها قدر الإمكان. وفي النسق الحكائي الذي ننشئه، يجري الزمان، بمعدل ثابت، وتتمّ الأحداث بترتيب زماني متعاقب.

وسوف تختزن الأحداث المنقولة في النص السردي بما ينسجم مع الشفرة التركيبية التي تقوم على البنية الكرونولوجية (الزمانية/ الترتيبية). لكن نصين إبداعيين (النافذة، رائحة الزمن المغلق) يعجز القارئ عن ترتيب زمنهما الخطي. فالأحداث تقدم في النصين في فوضى منغمرة وسط الأشياء، وكأنها في «النافذة» لغة الحلم في تداعياتها الحرة الطليقة خارج إطاري الزمان والمكان، وكأنها في «رائحة الزمن المغلق» تقنية سينمائية من الارتجاعات والاستباقات الكثيرة. وتعجز الشفاه عن رصفهما في سياق ترتيبي. وفيما يمدّ النص دقيقة في أكثر من صفحة يطوي السنين في جملة واحدة لتحقيق غاياته الجمالية.

تأسيساً على ذلك، يتناول السيمائي الحافز الحكائي لدى القارئ ويجعله أساساً للبناء. ويوفر منطق البنية الحكائية معياراً وأداة استكشافية لدراسة الستراتيجيات والنصية. فيمكننا من استشفاف الحوار بين النصّ والحكي، حيث يغير النص طرائقه من أجل اقتياد المادة الحكائية إلى الغايات التي يصبو إليها. وقد يتم العثور على مفاتيح لكل من العاطفة والقصد والعوالم النفسية عند هذه النقاط:

هل يعود النص على نحو تسلطي إلى حدث عرضي من التاريخ الحكائي؟ (وكان السؤال: ما المانع أن يقتحم غرباء علينا خلوتنا)، هل يقاطع النص النظام الحكائي لينقل شيئاً مهماً يساعد في تحقيق غاياته الخاصة؟ (العربة: ناصر)، هل يحذف شيئاً بحسبه القصور الذاتي الحكائي مهماً؟ (موكب البط البري: كنت في زمن ما.. على علاقة ما بهذه الطيور)، هل يغير وجهة نظره إلى الأحداث الحكائية؟ (رائحة الزمن المغلق: تارة فيها شيء من الود والانشداد، وتارة أخرى يطغى التنافر، وتتضخم الرغبة المضمرة في الإيذاء)، هل يخفي شيئاً (الرحيل: عيوناً متسائلة، وأنفاساً مكتومة، وانتظارات طويلة، ممضة..)، هل يفرض التقييم من خلال بلاغة الخطاب؟ (النافذة: تسربت كطيف شفيف متلاشية خلف قضبان النافذة).

إن العطالة الهادئة في العملية الحكائية التي يحركها ثقل الثقافة والموروث الأدبي وحاجات الذاكرة نفسها، تقدم أساساً ثابتاً لرسم خريطة الستراتيجيات النصية. وستكون أكثر نصوص «الكردي» امتلاءً بالطموح الجمالي والأدبية، تلك التي تجد أن من الضرورة القصوى أن تعطل العملية الحكائية برمتها من خلال التكتم والمراوغات، والأحابيل والأجوبة الناقصة، كما في نصيه الحداثيين بامتياز: «النافذة/ رائحة الزمن المغلق» حيث سيلهث القارئ، عبثاً إلى اليقين والخاتمة لا كمال النمو الحكائي للمواد النصية. ومن صراع المصالح هذه بين النص والقارئ يأتي نوع من التوتر استثمره القاص الفلسطيني بحداثة أدواته وخصب مخيلته.

في الترتيب الزماني للقصص يميز ثلاث مناطق رئيسية للبحث، هي: الترتيب/ الديمومة/ التردد. الترتيب هو تنظيم الأحداث المعبّر عنه بين القصة والنص، أي التقسيم الزماني للقصة في مقابل الطريقة التي ينظم بها الخطاب تقسيمه الزماني ويقدمه لنا بها. والديمومة هي العلاقة بين الاتساع الزماني للأحداث في القصة، والانتباه الذي يكرسه الخطاب. وهذه مسألة سرعة أو بطء يمكن التعبير عنها بتقسيمها إلى ساعات وأيام وسنوات في زمن القصة، وكلمات وصفحات في النص المطبوع. ويتضمن الجانب الزماني الثالث، الذي هو التردّد الطرق التي يمكن بها تكرار الأحداث سواء في القصة نفسها أم في الخطاب.

يتخالف الترتيب بين الخطاب والقصة في «الرحيل» ليعطي مسحة أدبية وعنصر إثارة وتشويق فالزمن الحاضر للسرد هو الصباح المقترح لزيارة «عادل». ويقدم «الكردي» هذه الأحداث في المشهد الأول خارج فلسطين ليعود إلى الماضي داخل فلسطين ثم الحاضر و«عادل» عائد إلى تابوته الحجري حيث العتمة تلف المكان. تنخرط هذه الأزمنة في الزمن الحاضر وتقدم بوصفها جوانب من تفكير «عادل» الذي هو قريب جداً من زمن المضارع حتى لو كان مروياً بماض تقليدي. أما على صعيد الديمومة فإننا نميز أربع سرعات أساسية في «الرحيل»: الثغرة سريعة بلا حدود بين المشهدين الأول والثاني والخلاصة سريعة نسبياً (إذن فقد ماتت ـ أم يوسف ـ كما تشتهي)، المشهد: بطيء نسبياً، الوقفة الوصفية: درجة الصفر للتقدم. لكننا بحاجة إلى معرفة بعض الجوانب الخاصة باستخدام «الكردي» لهذه التقنيات. فهو قبل كل شيء يخلط هذه الأشياء بحيث يتم تقديم الوصف والتلخيص كجوانب من تفكير «عادل» ومن هنا تعمل كدراما أو مشهد. ويشكل المقاطع السردية المكتوبة في الزمن الحاضر مشهد ديمومة واسعة يحتل فيها زمن قصير نسبياً في زمن القصة (زمن الزيارة) جزءاً طويلاً من النص (ثلاث صفحات مع تداعيات تخيل موت الأم). ويعطينا المشهد الأول، بكل تذبذبه الزمني إحساساً بالحاضر يمرّ ببطء شديد، ثم يؤكد المشهد، بعد الثغرة، ببسط الزمن أكثر (هل للمسألة علاقة بإيقاع السجن وتحرير فلسطين؟ ربما). إن الإيقاع الروائي الأساسي في «الرحيل» هو التعاقب بين الخلاصة التي تؤدي وظيفة الربط، وبين المشاهد الدرامية التي تحدث فيها الأفعال الخاصة. وتوفر لنا معالجة الطبع القصصي لدى «الكردي» طريقة ذات فائدة في تحليل نصوصه أيضاً. نقسم الطبع إلى جانبين: المسافة والمنظور. المسافة السردية هي وظيفة حجم ودقة التفاصيل التي يقدمها في نصوصه. فهو يزيد من التفاصيل بحيث يقربنا من الوصف المشهدي، والذي هو شكل من الإبراز الحداثوي للعرض، الذي نرى فيه تفضيلا للمشهد على الخلاصة. يميل «الكردي» في نصوصه إلى استخدام الإدماج وتجاهل العارف، أي إخفاء بعض المعلومات عن القارئ، ومن المتعذّر الحصول عليها على مستوى التبئير الغالب.

«الكردي» كاتب يعتمد هذه اللعبة السردية وقد أجادها بومضة «ناصر» في «العربة»، وطرقات جثة الأب على البوابة في خاتمة «الجثة»، وتساؤلات الراوي عن فريال في «النافذة» (لماذا حافظت فريال على صمتها؟!..). وهو يختار ما يمكن تسميته بالبؤرة الداخلية الثابتة، أي أن كل الأفكار تمرّ بالمصفى الذهني للراوي نفسه. وفي اختيار الرواي بؤرة غالبة انتقى «علي» ذهناً محدوداً. وقد طرح هذا المنهج على «الكردي» مشكلة جمالية، إذ ابتهج بحل جزء من معضلة تجاهل العارف، بأن ينقل في الوصف إلى القارئ بعض المعلومات أكثر مما تستدعيه الشيفرة بمنظوره. ويلاحظ على مستوى الشيفرات الإيحائية والتأويلية في «النافذة»، «الرحيل»، «رائحة الزمن المغلق» أن بعض إيحاءات الكلمات والعبارات يمكن أن تضم إلى إيحاءات مشابهة للكلمات وعبارات أخرى (جدرانها كاحله، عشرات الحقائب المعلّقة، أكياس نايلون منتفخة، عازل، خزائن ورفوف كرتونية، هديل المجاري التي لاتنضب، الأبواب السوداء الثقيلة، قرقعة العلب المعدنية، رائحة الرطوبة العفنة، خربشات لأجساد نساء عاريات). فما أن نتعرف على «نوى مشتركة» للإيحاءات حتى نضفي على النصوص قيمة. وما أن تتعالق عناقيد الإيحاء باسم علم معين «عادل السلوم» حتى نتعرف على شخصية ذات صفات معينة.

بلاغياً، متى نواجه الإدماج أو تجاهل العارف نكن في حضرة النصوص التي تحترم عقل القارئ، وتهتك العادات الذهنية الراسخة والبداهات الفكرية. فـ «الكردي» لا يشرّع لنصه على نحو قبلي، ولايرسم حدوده بصورة مسبقة، ولايقيم سوراً محكماً يسوّر به ذاته وهويته. بل يعمل على إبقاء الأبواب مشرّعة أمام عقل القارئ للدهشة والتساؤل بلغته الاستيقافية ■■

عزف منفرد

احتفاء "برحلة" قطامش

لم أقرأ بعد رواية المناضل الفلسطيني أحمد قطامش (الرحلة)، لذلك ما سأقوله ليس تعليقاً أو نقداً للرواية، وإنما مشاعر فرح أردت أن أسوقها احتفاء بصدور هذه الرواية التي تغرف عوالمها من تجربة ثرة لواحد من المناضلين الفلسطينيين الذين عاشوا سنوات طويلة من المطاردة زمن الانتفاضة، ثم عاشوا تجربة المعتقل لسنوات أخرى، وما بين قلق المطاردة وعتمة المعتقل تنمو بداهة الحواس الخمس لدى الإنسان، المحاصر، المطارد، أو المعتقل على نحو مختلف تماماً، وهذا ما يسمح له برؤية الأشياء من زاوية أخرى لاتتاح للإنسان العادي، فالمطارد كالعصفور الدوري أكثر حذراً وتحسساً للأصوات والحركات.. وكالشاعر أكثر استشفافاً للجمال والألوان والمشاعر، وكالموسيقي أكثر شفافية في رؤية الأشياء، لما يكابده من شوق لضوء النهار، وتوق لدفء الحبيبة وعطش لضحكات أطفال تنساب رقراقة، عذبة كمياه الجداول.

في عالم المطاردين، والمعتقلين يخيم الصمت، وترخي العتمة سدولها، حيث لاشيء سوى جدران كالحة وعالم يملؤه الكبار بهمومهم الثقيلة، وتجهمهم الدائم.. لذلك تشف لدى المطارد أو المعتقل المشاعر، وتتكاثف الرؤى، وتتعمق الأفكار لأن زمنه زمن آخر، مختلف بسيولته، وإيقاعه وكثافته.. فإذا كان زمن قطامش الفرد، هو زمن الفلسطيني الجماعي، فهذا سبب آخر يدفعنا إلى الاحتفاء بهذه الرواية التي تتجاوز الذات إلى تجربة الجماعة بكل ما فيها من تجريد وتعميم.

يبقى الإشارة إلى أن المؤلف يبدو من خلال مقدمته على وعي بتمايز حقل الرواية لغة وأسلوباً وشروطاً إبداعية عن الحقول الأخرى لذلك فهو لايصدّر أوهاماً، ولايقدم سيرة ذاتية بالمعنى الفوتوغرافي، وهذا شرط أولي ومهم من شروط الإبداع الذي يعيد خلق التجربة بسياق فني وجمالي مختلف، ولعل وعي الكاتب لهذا الشرط عتبة أولى وهامة باتجاه النجاح والتحقق.

علي الكردي

فنون أصفهان في معرض بدمشق

بمشاركة سبعة عشر فناناً من أصفهان، استضافت غاليري دمشق للفنون، بالتعاون مع غاليري كلاسيك أصفهان، والمركز الثقافي الإيراني بدمشق معرضاً تحت عنوان: «لمحة عن الفن في أصفهان»، وكان المعرض مناسبة أمام الجمهور الدمشقي ليتعرف على اتجاهات الفن الإيراني المعاصر، الذي ينتمي إلى الهوية المشرقية الإسلامية التي تعتمد الفن الزخرفي والمنمنمات، والرقش، والمطرزات، وهي أقرب إلى الفنون التطبيقية منها إلى الفنون التشكيلية المتعارف عليها حسب مقاييس اللوحة بالمعنى الغربي، كإطار مربع، أو مستطيل يُعلق على الجدار.

تنوعت أعمال المعرض لترصد اتجاهات متعددة لهذا الفن الإسلامي بملامحه الخاصة المميزة، لكن العامل المشترك هو وحدة هوية هذا الفن الذي ينتمي لأصول كلاسيكية عريقة.

الرحلة لأحمد قطامش



صدر حديثاً عن دار كنعان للدراسات والنشر بدمشق الجزء الأول من رواية الكاتب أحمد قطامش وهي بعنوان: «الرحلة»، ومما قاله الناقد المعروف د. فيصل دراج في هذا الكتاب: «قد يبدو هذا الكتاب قليل المفاجآت لقارئ لايعرف عن أحمد قطامش شيئاً، غير أن الصورة تتغير إذا علم أنه يقرأ لمقاتل لاحقته قوات الاحتلال الإسرائيلي سنين طويلة قبل أن تفلح بالإمساك به، ليخرج إلى حرية مقيدة، يقاتل فيها من جديد حالماً بحرية جديدة.

وإذا كان ما تخطه يد الكاتب، محترفاً كان أم قائداً سياسياً، يعكس تجربته الحياتية فإن ما يضعه أحمد قطامش في بداية روايته لايكسر هذه القاعدة ولايخالفها».

تقول الرواية ماشاءت لها تجربة الفلسطيني المحاصر أن تقول، إذ العدو والمطاردة، وإذ شوق المناضل إلى زوجته وطفلته، إذ على المقاتل ترمق جموع الانتفاضة من مكان محتجب، وإذا عشق الأرض التي ترمي إلى الفلسطيني المطارد بقميص جديد كلما نصل القميص الجديد وتهاوى.

تحتضن هذه الرواية تجربة فرد وهو يحتضن تجربة شعب، إن لم يكن هذا الفرد لا وجود له، لأنه توزع على أبناء شعبه جميعاً، ولهذا فإنها رواية حقيقية بالمعنى المتعارف عليه، مثلما أنها رواية تسجيلية في آن واحد. لا لشيء إلا لأن كاتبها توزع على الجميع، قبل أن يبدأ الكتابة.

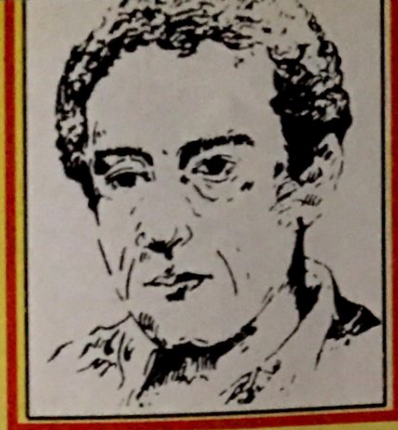
رواية أحمد قطامش مرآة لرواية أكبر، هي رواية فلسطين التي كلما اقتربت منها الغيوم الممطرة، أزاحتها الرياح إلى أقاليم جديدة.

من دولة ـ الإكراه إلى الديمقراطية

يخوض الدكتور عماد شعيبي في كتابه: «من دولة ـ الإكراه إلى الديمقراطية/ قراءة في الوهم الديمقراطي»، الصادر حديثاً عن دار كنعان للدراسات والنشر بدمشق غمار الصعب عندما يلجأ إلى تفكيك المأمول في الوعي السياسي السائد، فيوجه نقداً إلى الوعي الأسطوري المتعلق بالديمقراطية.

ورغم أن الوعي السياسي السائد لم يستسغ مثل هذا النقد الذي طرحه الكاتب عبر منابر إعلامية متعددة (مرئية ومقروءة)، إلا أن المسائل المطروحة لاتزال تصر على أن تتناول بحدة الوعي المضاد الذي يقوم على مواجهة ما يطلق عليه «شعيبي» أوهام الديمقراطية، ليؤكد على أن دولة الإكراه هي مرحلة من مراحل الانتقال إلى دولة القانون، فدولة المؤسسات. وهو يصر على أن يوصف الظاهرة ولايبررها.

وبغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف مع وجهة نظر «شعيبي» فإن هذا الكتاب بما يطرحه من موضوعات حساسة، مثيرة للسجال جدير بالقراءة.







ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم

«الهدف» على الانترنت

ـ عنوان الموقع على الشبكة:

- http://www. crosswinds.net/lebanon/~hadaff
- http://www.crosswinds.Palestine/~hadaff

ـ البريد الالكتروني:

- E-mail : alhadf@lebanon.crosswinds.net

وعد بلفور

ثمرة تحالف امبريالي - صهيوني متواصل

د. ماهر الطاهر

مع نهاية عام ١٩١٤ ومطلع عام ١٩١٥ كتب الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن إلى س.ب سكوت المحرر في صحيفة مانشستر غارديان يقول: في حالة وقوع فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني وفي حالة تشجيع بريطانيا استيطان اليهود هناك.. فنستطيع خلال عشرين أو ثلاثين سنة من نقل مليون يهودي أو أكثر إليها، فيطورون البلاد ويشكلون حارساً فعالاً يحمي قناة السويس. ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى من نهايتها ووضع تركة الإمبراطورية العثمانية على جدول أعمال الحلفاء تقدم هربرت صموئيل، اليهودي الصهيوني والوزير في الحكومة البريطانية وأول مندوب سام بريطاني في فلسطين فيما بعد، بمشروع يقوم على ضم فلسطين إلى الإمبراطورية البريطانية وزرع ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي فيها وبذلك يتحقق حلف بين الفريقين يخدم مصالح بريطانيا.

لقد أدركت بريطانيا أهمية استخدام ممكنات الحركة الصهيونية في مواجهة حركة التحرر القومي العربية التي بدأت تتبلور بوضوح وتتحول إلى حركة ذات جذور بين الجماهير العربية.

وأرسى بلفور، وزير الخارجية البريطاني بتصريحه الصادر في ١٩١٧/١١/٢ الذي قضى بإقامة «وطن قومي لليهود في فلسطين» أساس التحالف البريطاني الصهيوني في المنطقة العربية.

إن أطماع الدول الغربية بفلسطين قديمة العهد لما يمثله موقعها الجغرافي من أهمية اقتصادية وعسكرية ودينية.

وتشهد غزوات الفرنجة على مدى قوة هذه الأطماع ومداها، كما تشهد هذه الغزوات على وحدة المصير العربي أمام التحديات التاريخية الكبرى وخطورة الاحتلال الأجنبي لفلسطين على الوجود الحضاري للعرب.

لقد كان جوهر وعد بلفور رؤية ممكنات البرنامج الصهيوني في توطيد مواقع الإمبريالية في الوطن العربي، وهذا يعني محاولة إجهاض الحركة القومية العربية ومحاصرتها لمنع وحدة وتقدم العالم العربي.

ومع احتلال القوات البريطانية فلسطين أواخر عام ١٩١٧ وإعلان الإرادة العسكرية البريطانية فيها بدأت الخطوات العملية لتنفيذ مضمون وعد بلفور. وفي ٢٤ تموز ١٩٢٢ أقرت عصبة الأمم صك الانتداب البريطاني على فلسطين، واحتوت مقدمة الصك على تصريح بلفور التي جعلت بريطانيا مسؤولة عن تنفيذه. فقد نصت المادة الثانية منه على: «تكوين الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي بحسب ما جاء بيانه في مقدمة هذا الصك».

ومن اللافت للنظر أن صك الانتداب لم ترد فيه كلمة العرب ولو لمرة واحدة باستثناء كلمة «العربية» عند الحديث عن اعتماد اللغات العربية والعبرية والإنكليزية لغات رسمية في فلسطين.

لقد رفضت الجماهير العربية على امتداد الوطن العربي وفي سورية الطبيعية الاحتلال ووعد بلفور ودعت القوى الوطنية فيها إلى عقد المؤتمر السوري الأول في دمشق بتاريخ ٨ حزيران ١٩١٩ الذي عبّر عن هذا الموقف الواضح بقراره: «.. نعلن نحن المجتمعون في المؤتمر السوري الأول بإجماع الرأي ووحدة بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو محل هجرة لهم».

لقد فرض على الأمة العربية أخطر وأشرس معركتيه تهددان حاضر ومستقبل العرب، الأولى وعد بلفور بإنشاء «وطن قومي لليهود في فلسطين» والثانية اتفاقية سايكس - بيكو التي جزأت العرب إلى كيانات قطرية يراد اليوم تكريسها، فهل يعي العرب دروس وعد بلفور وسايكس - بيكو ويستخلصون النتائج؟

تمر ذكرى وعد بلفور في الوقت الذي يسترجع فيه شعب فلسطين ذكرى مجزرة كفر قاسم التي أودت بحياة ٤٩ عربياً فلسطينياً منذ ٤٣ عاماً على أيدي إرهابيي حرس الحدود الإسرائيليين، ففي التاسع والعشرين من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٥٦ اقترفت العصابات الصهيونية مجزرة رهيبة تضاف إلى سجل إسرائيل الحافل بالإرهاب والقتل والإجرام على مرأى ومسمع من العالم أجمع.